الأربعاء 8 آذار 2023
العدد 4867 السنة السابعة عشرة
Mercredi 8 Mars 2023 nº 4867 17ème année

20 صفحة
20000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

فلسطين

حماس لنتنياهو
حذار «اللعب»
مع غزة

10

البخاري للراعي: نرفض فرنجية [2]

ويكيليكس سلامة

- الحاكم حليف أساسي لواشنطن في تعزيز «الاصلاحات»
- عمولات على طباعة العملة لرجا سلامة وجمال خدّام
- «نصيحة» لاسرائيل بحصر ضرباتها في جنوب لبنان

[4 ـ 5]

(هيثم الموسوي)

الحدث

«كمال بك» يواجه إردوغان

12

6
ملف
سميرة أبو حمدان رهينة انتظارين

11
سوريا
العدو يتوحّش
ممنوع إغاثة حلب

14
تقرير

تونس - أفريقيا
الأزمة تتصاعد

قضية اليوم

البخاري للراعي: نرفض فرنجية

المشهد السياسي أمس عاش إرهاصات ما بعد إعلان الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله «دعم» ترشيح زعيم تيار المردة سليمان فرنجية لرئاسة الجمهورية، وسط التزام مسؤولي التيار الوطني الحر (باستثناء بعض الناشطين على مواقع التواصل الاجتماعي) بتعميم رئيس التيار جبران باسيل، فور انتهاء الخطاب، عدم التعليق على مضمونه.

وما من شك في أن الخطاب نقل المعركة الرئاسية إلى مرحلة جديدة، خصوصاً أنه جاء من طرف لاعب «فوق محلي»، هو حزب الله، وكان في معظمه موجّهاً

> بيان للتيار اليوم: ماضون في خياراتنا لانتخاب رئيس يتوافق مع نظرتنا لبناء الدولة وتأمين أكبر إجماع ممكن حوله

إلى الخارج، وتحديداً أطراف لقاء باريس الخماسي. وهذا ما يفسر عدم تسجيل ردود فعل بارزة من بقية الأطراف السياسية المحلية. فيما الرد الوحيد جاء من الرياض التي لوحت بعض وسائل إعلامها (صحيفة «عكاظ») بأن ترشيح فرنجية يهدد بـ«التعجيل بسيناريو الفوضى والانفجار وتزايد الأزمات»، فيما زار سفيرها في بيروت وليد البخاري بكركي، على أن يجول على بعض القيادات السياسية. وعلى عكس الأجواء التفاؤلية التي حاول البخاري إشاعتها من بكركي حيث أكد على «دعم المملكة للاستقرار في لبنان ودعم سيادته، والتزامها

(هيثم الموسوي)

بدعم خريطة طريق الإنقاذ، وكل المبادرات الخيرة التي تقوم بها الدول لخلق شبكة أمان»، وقوله إنه «متفائل جداً» وفق ما نقل عنه مدير مكتب الإعلام والبروتوكول في الصرح البطريركي المحامي وليد غياض، نقلت مصادر مطلعة أن السفير السعودي «عبّر بصراحة أمام البطريرك بشارة الراعي عن رفض بلاده ترشيح فرنجية». وأكدت المصادر أن «الرياض لا تزال ترفض أي مبادرة حوارية أو إنقاذية، وتصر على خريطة طريق إلغائية، وتضع دفتر شروط لانتخاب رئيس للجمهورية واختيار رئيس للحكومة يتبنيان مشروع المواجهة مع حزب الله والعمل على عزله».

وإلى الشق المتعلق بإعلان دعم ترشيح فرنجية، بقيت الأنظار أمس مشدودة على تأثير هذا الدعم على مستقبل التفاهم بين حزب الله والتيار الوطني الحر، كما تواصلت القراءات لما تضمنه الخطاب من رسائل إلى التيار، وأبرزها أن تبنّي ترشيح فرنجية لا يقفل باب الحوار غير المشروط بين الطرفين، ويبقي «كوريدوراً» مفتوحاً أمام باسيل ليشكّل رافعة للمرحلة المقبلة، ويحرص على عدم تجاوز التيار في إنجاز الاستحقاق الرئاسي.

وفيما رأت مصادر مطلعة في تعميم باسيل إشارة إيجابية إلى عدم وجود نية للتصعيد، فإن مصادر أخرى أشارت إلى بيان سيصدر عن المكتب السياسي للتيار اليوم، مشيرة إلى أنه سيتضمن تأكيداً على مواقف التيار وليس رداً على إعلان السيد نصرالله «الذي لم يكن مفاجئاً»، بل كان متوقعاً «لأن المشكل الكبير بدأ في الحكومة... ومن الواضح جداً أن الأمور بين الطرفين لم تعد كما كانت». وبالتالي، فإن التيار «ماض في خياراته لانتخاب رئيس يتوافق مع نظرته لبناء الدولة وتأمين أكبر إجماع ممكن حوله». ولفتت إلى أن «الخلاف ليس على رئاسة الجمهورية، بل على انتخاب رئيس على أساس الميثاق والشراكة، وهذه النقطة تشكل اليوم جوهر الخلاف. كذلك فإن الخلاف ليس على نصوص التفاهم بل على روحيته. إذ إن التفاهم لا ينص حرفياً، مثلاً، على وقوف التيار إلى جانب المقاومة في أي حرب ضد إسرائيل، ولكن من الطبيعي أن يكون إلى جانبها وفق روحية التفاهم. وهذه الروحية، بالمثل، تعني الوقوف مع المسيحيين في خياراتهم وعدم ضرب الشراكة الوطنية بعرض الحائط».

تقرير

الثنائي يعتمد الهجوم بدل الدفاع: من هنا يبدأ النقاش

غسان سعود

بعيد لقاء باريس الخماسي، الشهر الماضي، كان واضحاً من مجمل الحركة الدبلوماسية في بيروت تراجع الدول المؤثرة في الملف الرئاسي، وتقدّم للدور المصري. تبعه تراجع للدور الفرنسي وتقدم للدور الأميركي، كان واضحاً مع بداية الأسبوع الماضي أن هذه الدول تسعى التقدير حين تفترض أن حزب الله «مأزوم» وأن المواقف الأخيرة لأمينه العام السيد حسن نصرالله ليست سوى «نداءات استغاثة للنزول عن الشجرة» بحسب دبلوماسيين مصريين في بيروت. لتظهير الفيتو على فرنجية بعدّة العمل اللبنانية التقليدية، من بكركي إلى معراب، مروراً بأفرقاء كان موقفهم لا يزال رمادياً أو ملتبساً، مستفيدين أساساً من موقف رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل. وإذا كان لقاء باريس قد خلص إلى وجود مرشحَين، يكفي وضع فيتو على أحدهما ليبقى الآخر وحيداً، أخذ المصريون على عاتقهم تحضير الأرضية ليصبح انتخاب قائد الجيش ممراً إلزامياً لأي حل. مع الأخذ في الاعتبار أن الدول الخمس كانت مقتنعة بأن هناك إجماعاً لبنانياً، يشمل الحزب، على أن الأزمة الاقتصادية لم تعد تحتمل، ولا حل لتحقيق انفراجات مالية حقيقية إلا باسترضاء السعودية، مع إمكانية الاستفادة من أجواء التهدئة العامة بين السعودية وإيران.

> اربك نصر الله مخطط الدول الخمس التي كانت تتطلع إلى ان تاخذ بالسلم ما عجزت عن اخذه بالقوة

عند هذا الحد، خرجت مقابلة الرئيس نبيه بري مع «الأخبار» بثلاثة عناوين رئيسية:

أولاً، استبعاد ذروة الضغوط الخارجية عليه لتعديل الدستور برفع فيتو دستوري - قانوني، ثم سياسي، على ترشيح قائد الجيش.

ثانياً، تسمية سليمان فرنجية بالاسم كمرشح وحيد.

ثالثاً، ربط توقيت الإعلان عن ترشيح فرنجية بـ«المحاولات المبذولة لإقناع باسيل».

ومع أن رسائل بري كانت واضحة جداً، أثر المعنيّون بفهمها عدم فهمها، فجاء كلام السيد نصرالله ليوضح أكثر ثلاث نقاط أساسية:

أولاً، يقول في فقرات متعددة وبطرق مختلفة: لسنا ضعفاء أبداً، ولا مهزومين أو حتى متعبين أو نستجدي صفقة أو تسوية أو غيره؛ «لم نستسلم في يوم من الأيام، وبالتأكيد اليوم لن نستسلم». وليس ما سبق سوى جزء يسير من مقاربة شاملة يسعى الديبلوماسيون الأجانب كما يبدو فهم تموضع الحزب فيها. إذ يقول الحزب، بوضوح، إنه يؤيد اتفاقاً داخلياً - خارجياً يريح اللبنانيين، لكنه لم يقل أبداً إنه يوافق على التنازل عن مكتسباته السياسية أو على إعادة عقارب الزمن اللبناني إلى عهد ميشال سليمان وفؤاد السنيورة وخوض معارك للحصول على ثلث ضامن من هنا وتمثيل وزاري حزبي مباشر من هناك. يؤيد الحزب تسوية أو اتفاقاً يريح البلد وفقاً لموازين القوى عام 2023، لا عام 2005 أو 2009، وهو ما لا تفهمه السعودية ومصر وفرنسا ربما.

وخلاصة التدقيق الموضوعي تبين، هنا، أن في حزب الله من كان يعتقد بأن الأميركي قيّم سلباً سياسته في لبنان لجهة الحصار والانسحاب الخليجي وقرر الانعطاف، تماماً كما أن هناك في الديبلوماسية الفرنسية – المصرية خصوصاً من فهم مرونة حزب الله ضعفاً، و«سياسة الاستيعاب» استعداداً للعودة إلى الوراء، فيما الواقع يؤكد أن الفريقين يقيّمان بشكل إيجابي لا سلبي سياساتهما في المرحلة الماضية، ويقران - كل من موقعه - المضي قدماً. الحزب يقول: لن نستسلم. والسعودية والولايات المتحدة تقولان: لن نستسلم.

ثانياً، متجنباً التطرق إلى تعديل الدستور على مقاس قائد الجيش، دخل السيّد مباشرة على خط الرد على «الفيتوات الخارجية على أي مرشح» لرفضها بالمطلق. وهو، هنا، يحاول إعادة الأمور إلى ما قبل لقاء باريس، عبر القول لهؤلاء إنه يحق لهم بالمساعدة، لكن لا يحق لهم وضع فيتو على أحد، أياً كان. وإذا كان هناك فيتو سعودية ومصر وفرنسا ربما.

ثالثاً، يكرر الحزب ما يفترض أنه بات ثابتاً وراسخاً في مقاربة واشنطن أولاً وأخيراً: لا مكان البتة في العقل الإيراني لما يوصف بالسلة الإقليمية؛ لا يمكن مقايضة ملف أو جزء من ملف بملف آخر أو جزء من ملف آخر. كررها السيد «للمرة ليس الألف بل للمرة المئة ألف». يمكن للحزب أن يكون داخلياً في موقع أقوى بكثير لو كانت التسوية الإقليمية في حسبانه، إذ يكفي أن يعطي أحد حلفائه في العراق أو اليمن القليل لياخذ هو في لبنان الكثير، لكن هذا الذي تريده الرياض وواشنطن غير وارد أبداً، وهو ما يفترض أن يكون عاملاً مطمئناً لخصوم الحزب اللبنانيين الذين يمكن أن تضحي السعودية بهم مجتمعين في أي وقت لقاء أي مكسب في اليمن حيث لديها مشروع وطموحات بعكس لبنان. علماً أن أكثر ما تكره الرياض سماعه منذ عدة سنوات هو ما كرره نصرالله أول من أمس بأن حل اليمن عند اليمنيين لا عند حزب الله.

(أ ف ب)

فيما كانت دول الاجتماع الخماسي تتحضّر لتعلن في اجتماعها القريب الثاني ما مفاده أن مرشح الثنائي الشيعي أخرج من السباق الرئاسي، ولم يعد هناك سوى مرشح واحد هو قائد الجيش، كي يبدأ النقاش من هنا في المرحلة المقبلة، إذا بالثنائي يتعمد الهجوم بدل الدفاع، ليقول في خلاصة الموقفين إن مبدأ «الفيتو» مرفوض، وإن التعديل الدستوري ممنوع، ومن هنا يبدأ النقاش في تسوية المرحلة المقبلة. وهي تسوية يأخذ الأفرقاء الخمسة بموجبها أو يعطون لبنان حصراً. مع تأكيد الثنائي، بلغة واضحة، أنه لن يستسلم، من دون أن يقرع في المقابل طبول الحرب أو يهدد ويتوعد، فهو لا يريد رئيساً بنصاب النصف زائداً واحداً إنما بنصاب الثلثين. وهذا ما يربك مخطط الدول الخمس التي كانت تتطلع لأن تاخذ بالسلم ما عجزت عن اخذه بالقوة، ويعيد الأمور بطبيعة الحال إلى المربع الأول... إلا إذا كانت السعودية وواشنطن تنتظران بما يكفي من العقلانية والواقعية للتعامل مع الواقع اللبناني وفق موازين القوى الحقيقي، لا وفق تطلعات ورؤى وأحلام الموتورين في هاتين العاصمتين. وهو ما يفترض أن يقفل باب التسويات «المشقوق» ويفتح باب استمرار الفراغ «شهراً واثنين وثلاثة وسنة وسنتين وثلاثاً وأربعاً إذا بقينا واقفين مكاننا»، كما قال نصرالله أول من أمس.

تقرير

ترشيح فرنجية: خوض المعركة بالنيابة عن صاحبها

> يخوض الرئيس نبيه بري وحزب الله معركة إيصال مرشحهما إلى رئاسة الجمهورية. في المقابل، لا ينتظر خصوم رئيس تيار المردة سليمان فرنجية إعلان الأخير ترشّحه لبناء استراتيجية المواجهة المكشوفة

هيام القصيفي

في عبارة صريحة للعماد ميشال عون، عام 2015، قال: «طالما أنا موجود، فأنا مرشح لرئاسة الجمهورية». كان عون، منذ عام 1988، يعلن نفسه مرشحاً للرئاسة، وبقي كذلك عندما عاد الى بيروت عام 2005، الى أن تبنّى حزب الله ترشيحه (من دون الرئيس نبيه بري)، ثم الرئيس سعد الحريري ورئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع. خاض عون معركة ترشّحه على مدى سنوات الفراغ الرئاسي، وقبلها منذ اتفاق الدوحة وموافقته على انتخاب الرئيس ميشال سليمان، وظل يعاند ويقلب الدنيا للوصول الى قصر بعبدا. ولم يوفّر معركة سياسية إلا قام بها بعدما نال وعد حزب الله بإعلانه مرشحه الأوحد ولو لم يرضَ بري، الذي لم ينتخبه.

ما جرى في الأيام الأخيرة معاكس تماماً. لم يعلن رئيس تيار المردة سليمان فرنجية ترشّحه، فأعلنه بري، ودعمه الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، واضعَين القوى المعارضة لهذا الترشيح، بما فيها التيار الوطني الحر، أمام خيارات وأسئلة حول التوقيت ومستقبل الترشيح وموقع فرنجية في معادلة خوض معركة الرئاسة نيابة عنه.

من غير المستبعد لدى قوى سياسية أن يكون فرنجية الأكثر إحراجاً في ما حصل، إذ إنه لم يعلن ترشّحه، كما لم يعلنه حزب الله وهو الطرف الأكثر استعداداً لتحمّل مواجهة الملف الرئاسي كما حصل بعد 7 أيار ومن ثَمّ مع تسوية عون والحريري. وعدم الترشّح، حتى الآن، كان تفادياً لإعلانه مرشح المواجهة التي لن تحصل بفعل الظروف الموضوعية والقرار الدولي والإقليمي غير المتوافر، وعملانياً بفعل عدم تطابق حسابات الأصوات النيابية مع تلك المطلوبة لإيصاله الى قصر بعبدا، ما يضعه في موقف حرج إذا ما استمر ترشيحه لتقطيع الوقت كما تتّهم قوى 8 آذار ترشيح المعارضة الحزبية للنائب ميشال معوض.

لكنّ الترشيح العلني أتى ليعكس تبنّي بري المزمن لفرنجية وسحب حزب الله إليه، في توقيت لا يرى فيه معارضو الحزب أنه مرتاح إليه. وهذا يغضّ النظر عن أن الحزب ناقش ترشيح فرنجية، لكنه بقي المرشح الذي ماطل في إعلان ترشيحه علناً، ليصبح فرنجية بذلك مرشح قوى 8 آذار في مواجهة المعارضة، ومرشح نصفها على الأقل، وفي مواجهة قرار التيار الوطني الحر الرافض له كلياً، ومرشح المواجهة مع القوى المسيحية التي تحاول بكركي في اللقاءات التي يقوم بها البطريرك بشارة الراعي التوصّل معها الى مرشح توافقي. كما أصبح في مواجهة قائد الجيش العماد جوزف عون الذي لم يعلن ترشّحه رسمياً كذلك، وينتظر هو الآخر من يتولّى التسويق له محلياً وخارجياً من أجل إيصاله رئيساً غير مرشّح الى الانتخابات.

وإذا كانت المواجهة قد فتحت، من دون أن يقفل حزب الله باب الحوار علناً على الأقل، فهذا يعني أن ثمّة مستويات للصراع المقبل ستكون عدّته من الآن وصاعداً في متناول الجميع. فالمعارضة المنقسمة على تبنّي مرشح واحد، باتت اليوم أمام معادلة ترشيح فرنجية. وهي لا تنتظر إعلانه رسمياً، حتى تستكشف قدرة النواب المستقلين على التعامل مع هذا الترشيح، لتنشيط الاتصالات مجدداً من أجل التوصل الى خريطة طريق لإدارة الملف الانتخابي، علماً أن نواباً من المستقلين لا يزالون على رفضهم كلياً الحوار مع القوى المعارضة الحزبية، او حتى البحث معها عن بدائل رئاسية. ومن أدوات هذه المواجهة اعتماد طرق مختلفة عن السابق، بالنسبة الى حضور الجلسات وتأمين النصاب، وهذا الحر. فالتيار الذي يجد نفسه مطوّقاً بترشيح فرنجية من جهة، وموقف المعارضة الرافض حتى الآن التواصل معه، لا يزال يرى في ما تعمل عليه بكركي من محاولات حوار وسيلة للتموضع مجدداً رئاسياً خلف خيارات بديلة. وأيّ مسلك للحوار الجدي بين التيار والمعارضة، بعد ترشيح فرنجية، سيأخذ في الحسبان كل سلوكيات السنوات الست الماضية، وكذلك ما يمكن أن يتوقّعه الطرفان في إدارة الثنائي لمعركة إيصال فرنجية. فالحزب سبق أن أدار معركة إيصال عون، لكنه لم يتمكّن من إيصاله إلا بعد موافقة الطرف السنّي الأكثر تمثيلاً والقوات اللبنانية. أما اليوم، فبري هو الذي بدأ بإدارة المعركة، لكنه يبدأها بخسارة أطراف ثلاثة هي: التيار والقوات والقوى السنّية التي كان يعوّل عليها، يضاف الى هؤلاء رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط الذي لا يزال ملتزماً داخل الحزب والعائلة عدم انتخاب فرنجية. لكن، بقدر ما يبدو فريق الثنائي مكبّلاً، لم ينجح الطرف الآخر في أن يخطو خطوة الى الأمام، الأمر الذي سيؤدي حكماً الى معادلة توازن سلبي. هنا يمكن الانتقال الى سيناريوات عدّة بدأت تُطرح في الساعات الماضية، تتعلق بمعنى الترشيح في وقت تأكد فيه الفريقان أنهما لا يملكان الأصوات الكافية لوصول فرنجية، وأن المعارضة لن تؤمّن النصاب بعد كلام علني للقوات والكتائب، وتماهي بعض نواب التيار مع هذا الطرح. وإلى أيّ مدى هناك نيّة لاستخدام ورقة فرنجية لاستدراج عروض من الدول الخمس التي التقت في باريس، أو العكس تماماً، أي استخدامها لإطالة أمد الفراغ الرئاسي في ظل المراوحة التي تتحكّم بالوضع الداخلي والإقليمي، علماً أن معظم معارضي حزب الله ينحازون الى الرأي الثاني.

> اصبح فرنجية مرشح قوى 8 آذار في مواجهة المعارضة والتيار والقوى المسيحية وقائد الجيش

في السياسة حق مشروع، في تغيّر أساليب المواجهة مع تغيّر أساليب الخصم. لكن ليس كل المعارضين على اتفاق على هذه المقاربة، وهناك أكثر من نائب في صفوف «التغييريين» في موقع الرافض كلياً لهذه الاستراتيجية، من دون استبعاد أي طروحات أخرى تتعلق بمقاربة كل ما من شأنه دفع الاستحقاق والمواجهة مع الثنائي الى الحد المطلوب.

والمعارضة أمام خيار آخر يتعلق بالمسار الذي يتخذه التيار الوطني

تقرير

«تسوية» أحداث خلدة انتهت: الأحكام بعد أيّام

لينا فخر الدين

أشهرٌ طويلة قضاها المتفاوضون في ملف أحداث خلدة للوصول إلى حل يُقفل الملف المفتوح منذ أكثر من عامين ونصف عام. خلال هذه الفترة، أيد كثيرة امتدت إلى «الطبخة»، وأصوات أكثر سعت إلى «كبّ الزيت على النار» سعياً للاستثمار السياسي، علماً أن هذه القضية، أساساً، لا تحتاج إلى الكثير من العصيّ لوضعها في الدواليب. فالشحن الطائفي أرضيّة خصبة، والعلاقة بين عائلات عشائر عرب خلدة صارت متوتّرة، وحزب الله نفسه غير قادر على الذهاب بعيداً في تسوية لا ترضي أهالي الضحايا الذين لا «يمون» عليهم بما فيه الكفاية.

مع ذلك، نجح المتفاوضون في الوصول إلى حل يُرضي كل الأطراف بعد سلسلة اجتماعات في مكتب مدير المخابرات العميد طوني قهوجي، بحضور رئيس فرع مخابرات جبل لبنان العقيد طوني معوّض، وممثّلَي حزب الله النائب أمين شري والمسؤول الأمني علي أيوب، وعن العشائر النواب نبيل بدر ومحمد سليمان وعماد الحوت، والمختار يونس الضاهر وعلي موسى.

وبحسب المعلومات، فإنّ الحل يقضي بصدور أحكام مخفّفة بحق معظم المدّعى عليهم وجاهياً (25 شخصاً بينهم 19 موقوفاً) تتراوح بين 3 و7 سنوات، تخفّض إلى ما دون الـ3 سنوات ليخرج هؤلاء، بسبب انقضاء محكوميتهم السجنية، على أن يشمل الحكم الأعلى، أي 7 سنوات، مجموعة صغيرة من الموقوفين (لا تتعدّى الـ3)، لتُعاد وتخفض في حال تم تمييز الحكم. ويشمل هذا الاتفاق المدّعى عليهم غيابياً البالغ عددهم 11 شخصاً حالما يوافقون على تسليم أنفسهم للقضاء. وتكتمل التسوية في إقامة مصالحة شاملة بين أهالي خلدة حرصاً من المتفاوضين على إغلاق هذا الملف وعدم تكراره، باعتبار أنّ تداعيات أي إشكال جديد ستكون حتماً فتنة سنية - شيعيّة في المنطقة.

وعلمت «الأخبار» أن جلسة الاثنين المقبل في المحكمة العسكريّة ستكون الأخيرة، وستخصص لمرافعة وكلاء الدفاع، على أن تصدر الأحكام الخميس المقبل. هذا ما تبلّغه وجهاء العشائر في خلدة ووافقوا عليه، علماً أنّ هؤلاء، يتعرّضون لضغوط من أهالي الموقوفين الذين يعتبرون أنّ الحل طال انتظاره. ولهذا السبب، عاد الشيخ كامل الضاهر المعروف بـ«أبو ديب» من لندن كوْنه من أكثر الفاعليّات قدرة على جمع العائلات وإقناعها بتمرير التسوية. وعودة «أبو ديب» مرتبطة بخشية لدى بعض الفاعليات من عشائر خلدة من عدم التزام المسؤولين في المحكمة العسكريّة بما اتفق عليه المتفاوضون، خصوصاً أنّ لا ضمانة من الجيش في التفاصيل الصغيرة. إذ إن المفاوضين عن العشائر لا يعرفون تحديداً عدد الذين سيحكم عليهم بأحكام مشدّدة، بعدما أكد ممثلو الجيش أن هذه «شؤونٌ قضائيّة لا يمكن الاتفاق عليها مسبقاً».

ومع اقتراب انتهاء هذا الملف، زار بدر والحوت وسليمان أمس منزل المختار رفعت الأسعد لوضع عشائر عرب السعديات في الأجواء الإيجابيّة للمفاوضات، والتأكد من موافقتهم على هذه التسوية، إذ إنّ اثنين من المدّعى عليهم من عرب السعديات، وأحدهما هو نجل المختار ولم يسلم نفسه إلى القضاء.

بعض الحاضرين أشار إلى أنّ أجواء الاجتماع لم تكن بالإيجابية التي تصوّرها النواب. إذ إنّ موقف عشائر عرب السعديات كان مختلفاً عن موقف عشائر عرب خلدة لجهة رفضهم القبول بأي تسوية من دون الخوْض في التفاصيل والحصول على ضمانات بتنفيذها. إلا أن بعض فاعليات عرب السعديات تؤكّد عكس ذلك، وأن «لا مانع لدينا من تسليم ابننا ولكن بعد أن نتأكد من احترام الاتفاق إثر صدور الأحكام».

هذا أيضاً ما يقوله محمد الأسعد الملقّب بـ«أبو صخر». لافتاً إلى أنّ «الأجواء إيجابية ونحن مع الحل بأقل الأضرار الممكنة». لافتاً إلى أنّ «زيارة النواب إلى منزلنا هدفها الوقوف على خاطرنا وإبلاغنا بآخر التطوّرات في هذا الملف».

على الغلاف

إعداد: فراس الشوفي

لا يحتاج اللبنانيون إلى كثير من الإقناع للتيقّن من عمق العلاقة التي تربط حاكم المصرف المركزي رياض سلامة بالأميركيين مهما عظمت الدعاية المعادية لحزب الله. وإذا كان هدف الدعاية، اليوم، بعدما صار سلامة مُلاحقاً من القضاء اللبناني وجهات أوروبية عدة، التخفّف من «عبئه» شيئاً فشيئاً، واستغلاله في حملة «شيطنة» حزب الله وزيادة الضغط على آخر هياكل المؤسسات في لبنان، إلا أن الأميركيين لا يزالون يشهرون، وإن بخجل، سيف الحماية للرجل الذي لطالما ربطته بهم علاقات وثيقة. إذ تكشف مراجعة وثائق «ويكيليكس»، وتحديداً مجموعة من التقارير والمحاضر المسرّبة عن لقاءات سلامة مع سفيري الولايات المتّحدة جيفري فيلتمان وميشال سيسون بين عامي 2006 و2009، ولقاءاتٍ مع مسؤولين حكوميين، جانباً مهمّاً من العلاقة بين سلامة والأميركيين، وفصلاً مخيفاً من فصول التحضير للانهيار الاقتصادي الحالي.

في بضع اوراق إلكترونية، يظهر سلامة «عارياً» من كل الهالة التي بناها لنفسه، وأحاطه بها الأميركيون والفرنسيون وغيرهم كثر طوال عقود. طبيعة علاقته التبعيّة بالولايات المتحدة، ومعرفة الأميركيين تفاصيل التفاصيل حول خططه المالية ومباركتهم لها في كثير من الأحيان، واطّلاعهم على شبهات فساد تحيط به وبأفراد من عائلته وتآمره مع القطاع المصرفي على الدولة اللبنانية ومواطنيها. و«نشر الغسيل» أمام الأميركيين بينه وبين شخصيات في 14 آذار، دفعتهم إلى منحه اوسمة وجوائز، وحتى إلى منحه «شرف» افتتاح التداول في بورصة نيويورك عام 2009. ويتكشّف أيضاً، على لسان الأميركيين، دور سلامة في التلاعب بالأوضاع المالية والضغط على الأسواق وبسعر صرف الليرة مرات عدة، منها مرّتان خدمةً للرئيس الراحل رفيق الحريري واجندته السياسية، ومرّة ثالثة ضدّه، كما ادّعى الوزيران السابقان في حكومة الرئيس فؤاد السنيورة، جهاد ازعور وسامي حدّاد، في احد المحاضر التي دوّنها فيلتمان.

في سلسلة لقاءات مع فيلتمان وسيسون (4 لقاءات في 2006، 5 في 2007، لقاءان في 2008 ولقاء واحد في 2009)، يتعرّض سلامة لتشكيك وضغوط ومساءلة من قبل فيلتمان (2006 - 2007)، بينما تتحوّل العلاقة إلى الثّقة الكاملة والاعتماد المباشر في مرحلة سيسون. في ما يأتي، ملخّص عام عن ابرز تلك المحاضر

سلامة في ويكيليكس: الأميركيون والمصارف... وأنا!

مرحلة فيلتمان

لم ينس فيلتمان، في ملاحظاته، الإشارة إلى شكوكه في «عبقرية» سلامة ونزاهته وإلى اختلاسه أموالاً بطرق غير مباشرة عبر تحديد توقيت القروض والهبات وكيفية سدادها. لكنّ ذلك لا يمنعه من الإشادة بجهوده المزعومة مرات أخرى. أما سلامة، فيقدّم نفسه على أنه يدير مؤسسة شبه مستقلة عن السلطة السياسية، ويلعب دوراً لا غنى عنه يتخطى صلاحياته. وفي بعض اللحظات، قدم نفسه على أنه مستهدف بالاغتيال وغير طامع بالوصول إلى رئاسة الجمهورية، مع تسويق نفسه، باستمرار، أمام السفراء ومودعي الخزانة الأميركية، كرئيس مقبول ذي ولاء واضح للولايات المتحدة. وهو لم يتوان عن التحريض على الرئيس إميل لحود وحزب الله وسورية، حتى أنّه قدّم «مشورة» عسكرية/ سياسية لفيلتمان خلال عدوان تموز عن ضرورة حصر إسرائيل لضرباتها في الجنوب، وتجنّب قصف مناطق أخرى.

الخصخصة هي الحلّ

في الوثيقة BEIRUT 06 1470، حول لقاء بين سلامة وفيلتمان بتاريخ 10 أيار 2006، يؤكّد الحاكم أن الخصخصة هي طريق الإصلاح الوحيد، مشدداً على ضرورة خصخصة قطاع الخلوي. كما يقدّم نموذجاً عن سياسة إخفاء التقارير المالية الدولية عن اللبنانيين، إذ يؤكّد لفيلتمان أنه لن ينشر نتائج التقرير السري لصندوق النقد الدولي للبنوك اللبنانية. ويشير «حارس» الفائدة المرتفعة والأرباح التراكمية لأصحاب رؤوس الأموال على حساب الدولة اللبنانية، أن المصارف كانت محقة في انتقاداتها لخطة الحكومة لزيادة الضريبة على الفائدة من 5 إلى 7 في المئة، مؤكّداً أنه كان يعارض الضريبة على الفائدة بنسبة خمسة في المئة عندما تم اقتراحها في البداية. ورداً على استجواب فيلتمان حول ميزانية عام 2006، يجيب سلامة بأن «الإنفاق سيرتفع على الأرجح وأن الدَّين الوطني سيرتفع على الأرجح 1,6 - 1,7 مليار دولار». دعاية لـ«الإنماء والإعمار» و«المهجرين»

الوثيقة BEIRUT 06 2551 حول لقاء سلامة بفيلتمان، في 7 آب 2006، أي مع نهاية عدوان تموز، تكشف كيف يعطي سلامة لخطواته علامات مرتفعة، إذ يؤكّد أن «الوضع المالي اللبناني تجنب حتى الآن كارثة من خلال بعض الهندسات المالية الإبداعية». وهي الهندسات التي وأصل سلامة القيام بها إلى ما قبل الانهيار بأشهر. أما إدارة المساعدات التي كانت ستصل بعد الحرب، فيشير إلى أنه «سيوصي رئيس الوزراء فؤاد السنيورة بإنشاء صندوق مشترك مستقل ومراقبته من قبل المانحين»، ويمرّر اسمي مجلس الإنماء والإعمار وصندوق المهجرين، كمؤسسات يمكنها أن تحصل على دعم المانحين.

ولا ينسى الاستفادة من لحظة الفوضى السياسية الناتجة من الحرب لتغذية شهيته بالوصول إلى رئاسة الجمهورية والتحريض على رئيس الجمهورية آنذاك إميل لحود، إذ يدوّن فيلتمان: «أشعر سلامة (لا يخفي طموحه الرئاسي) أن تمرير قرار ثمّان (حول الحرب) وتنفيذه الناجح من شأنه إضعاف سوريا وبالتالي الرئيس لحود حتى يتم عزله».

أما أبرز مآثر سلامة في ذاك اللقاء فكان قوله لفيلتمان: «إن أغبى ما قام به الإسرائيليون هو قصف جسر جونيه في 4 آب، بدل حصر ضرباتهم في الجنوب».

إلّا المصارف

في الوثيقة BEIRUT 06 3656، في 18 تشرين الأول 2006، يستشرس سلامة في الدفاع عن مصلحة المصارف الخاصة على حساب الدولة. ودوّن فيلتمان أن «سلامة قلل من أهمية أي دور للبنوك التجارية في تخفيف الدين». التقرير السري لصندوق النقد الدولي للبنوك اللبنانية. ويشير الفعل السياسي الذي قد ينتج منه». ويرد في المحضر «استفسر السفير عن مساهمات المصارف التجارية اللبنانية التي تزيد على نصف دين لبنان، فقال سلامة إنه على عكس مؤتمر باريس 2 في تشرين الثاني 2002، يجب الا تشارك البنوك. لا يستحق الأمر». الدولة هي الضحيّة

في الوثيقة BEIRUT 07 166، في 31 كانون الثاني 2007، تتضمن خلاصة لقاء فيلتمان مع الوزيرين السابقين جهاد ازعور وسامي حداد، والعلاقة بين كل من وزارتي الاقتصاد والمالية والمصرف المركزي. في بعض الملاحظات التي نقلها فيلتمان عن لسان الوزيرين، وبعضها الآخر التي دونها بنفسه، يشير السفير إلى «تداول إشاعات داخل السراي (الحكومي) حول قيام سلامة بطريقة ما بالاستفادة

(هيثم الموسوي)

> سلامة: أغبى شيء قام به الإسرائيليون هو قصف جسر جونيه بدلاً من حصر ضرباتهم في الجنوب
>
> فيلتمان: قلك سلامة من أهمية اي دور مهم للبنوك التجارية في تخفيف الديون

بشكل غير قانوني من معلوماته التي يحصل عليها بحكم موقعه. بعبارات بسيطة: للدين الحالي قيمة سوقية من شأنها أن تكون أقل قبل مؤتمر المانحين، وأعلى بعد ذلك. إذا تمكن الأفراد من شراء بعض من هذا الدين قبل ذلك بقليل، فإنهم سيحققون ربحاً لاحقاً. إذا كان مصرف لبنان المركزي يميل إلى هذا الحد، فيمكنه بيع الديون مالياً من باريس 3، كما استفاد على ما يشاع من باريس 2»، ثمّ يعلّق: «يقترض البنك المركزي اللبناني بأسعار السوق ويقرض الحكومة اللبنانية بسعر معدلات أعلى».

بالربط مع الوثيقة السابقة ولقائه مع الحاكم في السابع من آب، يشرح فيلتمان أن «سلامة كان يستفيد إلى البنوك المفضلة أو المواطنين العاديين». وينتقد فيلتمان كفاءة سلامة: «قد يعارض سلامة برنامج صندوق النقد الدولي لأنه لا يريد أن تُعرف الحقيقة بأنه لم يكن عبقرياً على الإطلاق». رغم ذلك، يختم فيلتمان تقريره بأنه «يعود الفضل إلى سلامة على نطاق واسع في توجيهه الناجح للوضع المالي غير المستقر في لبنان خلال فترات بالغة الخطورة».

مصلحة المصارف أولاً

في الوثيقة BEIRUT 07 192، في 5 شباط 2007، بدوّن الملحق الاقتصادي في السفارة الأميركية محضر اجتماع فيلتمان بسلامة الذي يفصح عن خططه المقبلة، مؤكداً أنه يخفيها عن بقية إدارات الدولة. ينقل كاتب المحضر عن سلامة: «يخطط مصرف لبنان لسداد سندات اليوروبوند المستحقة بما في ذلك تلك المودعة في حساباته، بدءاً من شريحة بقيمة مليار دولار تستحق في 26 شباط. سلامة لم يدفع حتى الآن من أجل تجنب التأثير التضخمي على الاقتصاد. وهو يخطط لاستخدام القانونية هو وحده القادر على إلزام لبنان بالبرنامج. ويريد اعتراف صندوق النقد الدولي بهذه السلطة».

لبنان من سندات دولية. وافق مصرف لبنان على التضحية بمبلغ 150 مليون دولار سنوياً من أرباح الفوائد التي سيتنازل عنها، عندما يتم سداد سندات اليوروبوند، ولكن قد يبدأ الآن في تحميل وزارة المالية تكاليف أخرى». يعلّق فيلتمان: «حقق قطاع البنوك التجارية في لبنان أرباحاً بقيمة 450 مليون دولار في عام 2005، وقال سلامة إنه يعتقد أن بإمكانهم استيعاب 100 مليون دولار من الأرباح السنوية المخفضة. يقوم مصرف لبنان ببيع ممتلكاته العقارية تدريجياً، وقد قام بالفعل بتصفية بنك BLC وأكبر شركة عقارية لديه، كورال بيتش».

سلامة: أنا المرجعية

في الوثيقة BEIRUT 07 387، في 14 آذار 2007، يفصح سلامة عن مخاوفه من خطة صندوق النقد الدولي أمام فيلتمان الذي يكتب أن «العديد من اعتراضات سلامة، كما قُدمت إلى السفير وفي رسالة إلى صندوق النقد الدولي، تعكس رغبته في أن يعزز البرنامج دور مصرف لبنان القوي في إدارة الاقتصاد اللبناني. يعتقد الحاكم أنه من الناحية وحده القادر على إلزام لبنان بالبرنامج. ويريد اعتراف صندوق النقد الدولي بهذه السلطة».

الاتصالات: مغارة علي بابا

في الوثيقة BEIRUT 07 1208، في 7 آب 2007، يكشف سلامة لفيلتمان أن «زعماء 14 آذار يعطون الأفضلية لأنصارهم، بالسماح بالعديد من الاتصالات غير الشرعية في المناطق الموالية للحكومة كما في معقل حزب الله في الضواحي الجنوبية». ويعود سلامة بحسب المحضر إلى طرح فكرة خصخصة الهاتف. يكتب فيلتمان: «أدان سلامة قرار هيئة تنظيم الاتصالات طرح مزاد رخص الهاتف المحمول، وجادل بأن الحكومة يجب أن تبيع بدلاً من ذلك الشركات المملوكة للدولة من خلال طرح عام».

احمونى لاجلكم

في الوثيقة، BEIRUT 07 1713، في 1 تشرين الثاني 2007، يفصح سلامة أمام فيلتمان عن قلقه على أمنه الشخصي. لكن حتى هذه، يربطها سلامة بمصلحة الأميركيين. يكتب فيلتمان: «اعترف سلامة بأنه يحمل معه علبة من أقراص الكمبيوتر إلى المنزل كل ليلة، مما يسمح له بتشغيل المصرف من أي مكان. هو لا يخاف على المال. توقعيه هو المطلوب. أشار إلى وجود مشكلة في أمنه الشخصي، وأنه إذا قتل فإن النائب الأول لرئيس المصرف المركزي - شيعي مرتبط بنبيه بري وحزب الله - سيصبح تلقائياً الحاكم». يضيف فيلتمان: «تعليقه على ما قد يحدث إذا ما قُتل - ووصول شيعي إلى منصب حاكم المصرف - كان مقلقاً».

مرحلة سيسون

تشير الوثيقة BEIRUT 08 1619، في 12 تشرين الثاني 2008، إلى اجتماع سلامة مع نائب مساعد وزير الخزانة للاستخبارات والتحليل هوارد مندلسون، بحضور كل من سيسون، ملحق وزارة الخزانة اليكس سيفرينس، المحلل في وزارة الخزانة كريس دوسيت.

في هذا اللقاء، يبدي سلامة كل استعداد للتعاون مع الإجراءات الأميركية الهادفة إلى تشديد الرقابة على الحركة المالية والمصرفية في البلد. تدوّن سيسون: «شدد سلامة على جهود البنك للامتثال لجميع القواعد واللوائح المصرفية الدولية، ويؤكّد أن البنك المركزي يحتفظ بسجلات لجميع الودائع التي تزيد على عشرة آلاف دولار للتمكين من تتبعها في المستقبل. اتفق سلامة ومندلسون على أن تبادل المعلومات بشكل أسرع سيسمح للبنوك باتخاذ إجراءات ضد المصادر المبلّغ عنها للتمويل غير المشروع. وافق مندلسون على المشاركة مباشرة مع البنك المركزي والمصارف الأخرى في لبنان عندما تكون لدى وزارة الخزانة معلومات عن أفراد معيّنين. وقال سلامة إن البنوك يمكنها إغلاق الحسابات على الفور».

خصخصة طيران الشرق الأوسط

يكرر سلامة مقولته أن الإصلاحات منحصرة لديه في أمرين: خصخصة الخليوي وشركة طيران الشرق الأوسط. وقد كتبت سيسون: «اعترف سلامة بأن الأحداث لم تسر بالشكل المناسب. كان من المقرر طرح 25 في المئة من طيران الشرق الأوسط للبيع، لكن حقائق السوق الحالية أخّرت عملية البيع».

الاستدانة أقصر الطرق

في الوثيقة BEIRUT 08 268، في 19 شباط 2008، حول لقاء بين سيسون وسلامة، يركّز الأخير على ضرورة الاتيان بقروض وودائع خارجية. تدوّن سيسون نقلاً عنه: «بالنسبة للحكومة، هناك فجوة قدرها 3 مليارات دولار بين الأموال المتاحة والمطلوبة. مدفوعات الفائدة وحدها 1,3 مليار دولار. قال سلامة إنه لهذا السبب اقترح على رئيس الوزراء أن يطلب لبنان ودائع خارجية».

نعم للحريري لا للسنيورة

الوثيقة BEIRUT 09 920، في 17 آب 2009، تكشف عن تسويق سلامة للرئيس سعد الحريري كرئيس للحكومة ذي كفاءة عالية، فيما شنّ هجوماً لاذعاً على الرئيس فؤاد السنيورة أمام سيسون. تدوّن سيسون: «يعتقد سلامة أن رئيس الوزراء المكلف سعد الحريري ذكي كفاية ليأخذ وقته في تشكيل حكومة وهو مؤيد بقوة للأعمال التجارية والإصلاح، لكنه قلق من أن معظم السياسيين الآخرين في لبنان لن يكونوا حريصين على المضي قدماً في مبادرات الإصلاح». لا ينسى سلامة الحديث مجدداً عن الخصخصة. تنقل سيسون عنه أنه «تحدث عن مرونة القطاع الخاص في لبنان، وقال إن على الحكومة اللبنانية ألا تتأخر في تسليم أصولها إليه». أما حول علاقته بالسنيورة، فقد ورد في مطالعة السفيرة: «أعرب سلامة عن أسفه لأنه منذ أن تولى فؤاد السنيورة منصب رئيس الوزراء في 2005، فإن الحكومة اللبنانية لديها عجز سنوي متوسط في الميزانية يبلغ 3 مليارات دولار».

> يقترض البنك المركزي اللبناني بأسعار السوق ثم يقرض الحكومة اللبنانية بسعر معدلات أعلى

> رجا سلامة يتقاضى العمولات في كل مرة يتم طباعة اوراق نقدية جديدة

وعلى رغم ملاحظات الأميركيين على سلامة، إلّا أن التقرير يختتم بالتالي: «بالنسبة لنا نحن الذين اعتدنا التعامل مع القادة السياسيين الجامحين في لبنان، فإن سلامة دائماً ما يكون على ما يرام. لا يزال أحد حلفائنا الرئيسيين في تعزيز الإصلاحات».

العوبة الليرة منذ 1990

في عدّة وثائق، يشير فيلتمان بوضوح إلى تلاعب سلامة بالأوضاع المالية والدين الخارجية خدمة لأهداف سياسية. في الوثيقة BEIRUT 07 1424، في 16 أيلول 2007، يؤكّد أن سلامة عام 2004 «اعتبر خائناً للرئيس رفيق الحريري»، ويشرح كيف أن «سلامة عمل مع الرئيس إميل لحود على جدولة سندات الدين قبل مواعيدها، بفوائد عالية، ما عاد بالفائدة على أصدقائه المصرفيين. الحريري كان قد خطط لاستغلال حصول الأزمة المالية المقبلة في معركته الصامتة ضد التمديد للحود». هذا الاعتقاد عند فيلتمان، عزّزه رأي الوزيرين حداد وأزعور.

في الوثيقة BEIRUT 07 794، في 4 حزيران 2007، يشرح فيلتمان نقلاً عن حداد وأزعور أن رفيق الحريري كان يريد استغلال تزامن استحقاق الدين والانتخابات الرئاسية، ليثبت قدرته السحرية المالية في السيطرة على الأوضاع، إلّا أن الهندسة المالية التي قام بها سلامة من خلف ظهر الحريري حرمته من ذلك. ونقلاً عن النائب مروان حمادة، يكتب فيلتمان: «أخبرنا حمادة أن الحريري كان يرى موضوع النقد وسيلة سياسية ضد لحود». يعلق فيلتمان: «سلامة هزم الحريري باستخدام سلاحه ضده».

أما في الوثيقة BEIRUT 07 352، في 7 آذار 2007، فيكتب فيلتمان بوضوح أن «سلامة خلال ولايته كحاكم، ابتكر أدوات نقدية للحفاظ على الاستقرار النقدي، ودعم المصارف لكي تكون شريكاً في ثبات سعر الليرة وتكوين احتياطي أجنبي. سياساته ساهمت في نقل الكثير من الأموال من الحكومة إلى المصارف الخاصة. استخدم سلامة خبرته لدعم الرئيس رفيق الحريري. وعندما أراد الحريري التمديد للرئيس الياس الهراوي، دخلت الأسواق تحت ضغط مالي، وقام المصرف المركزي بضخّ ملياري دولار في السوق ورفع الفوائد على سندات الخزينة إلى 40%». ويضيف فيلتمان: «أيضاً في بداية التسعينيات، قامت بعض المصارف الخاصة ومنها بنك ميد التابع للحريري، بالتآمر على العملة المحلية فتعرضت للانهيار ووصلت إلى 3000 ليرة للدولار في نيسان 1992، ما تسبّب في سقوط حكومة خصم الحريري، الرئيس عمر كرامي».

عمولات رجا سلامة

في الوثيقة BEIRUT 07 352، في 7 آذار 2007، وفيها لقاءات مع مصرفيّين من بينهم رئيس مجلس إدارة بنك لبنان والمهجر سعد أزهري، والمدير العام السابق لوزارة المالية آلان بيفاني، يدوّن فيلتمان تفاصيل حول عمل سلامة مع الرئيس رفيق الحريري، وتشخيص للحاكم كمرشح محتمل لرئاسة الجمهورية اللبنانية. ويظهر من نمط المحضر، الإعجاب الذي يبديه المصرفيون بسلامة وسياسته المالية، وطموحهم لوصوله إلى رئاسة الجمهورية. في المقابل، يشير فيلتمان إلى مآخذ كثيرة حول طريقة عمله والشبهات التي تحوم حول أعماله وأعمال أفراد من عائلته، من دون أن يمنعه ذلك من الإشادة به. ومن دون أن يذكر المصدر، يدوّن فيلتمان أن «سلامة استفاد من المتاجرة بدينين الحكومة اللبنانية عبر أقربائه بعد مؤتمر باريس 3». ويضيف إنه «وقّع عقداً مع مؤسسة كندية لطباعة أوراق العملة اللبنانية منذ التسعينيات. رجا سلامة، شقيق الحاكم، كان جزءاً من الصفقة وتقاضى عمولة في ذلك الحين، (بالإضافة إلى جمال خدام ابن نائب الرئيس السوري الراحل عبد الحليم خدام)، ولا يزال يتقاضى العمولات في كلّ مرة تطبع فيها أوراق جديدة». يعلّق فيلتمان على الهامش: «جودة أوراق العملة ليست جيّدة، ويجري تغييرها كل بضع سنوات».

يوم المرأة العالمي

سميرة أبو حمدان رهينة انتظارَين: الموت... والأمومة

الزوجة التي تنتظر عودة زوجها المفقود في الحرب الأهلية، الأمّ التي ضُربت في أمومتها، فخطفت عائلة الزوج طفلتها، والناشطة التي تدير أعمالاً خيرية، والابنة البارة بوالديها، التي لفظ والدها آخر أنفاسه وهو يعتذر منها لشدة ما أتعبها، والقوية التي تواجه السرطان بما تبقى لها من عزيمة وصبر. امرأة، بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، عاشت الكثير من الأسى والظلم. كلّه في كفّة، وأن ترفض ابنتها وداعها في كفة ثانية، هذا ما لا تحمله جبال، فكيف تحمله الحاجة سميرة؟

زينب حمّود

ملامح باهتة، بطن منتفخة، وأطراف متورمة، هكذا تبدو سميرة أبو حمدان جالسة على الأريكة بعد جلسة علاج من السرطان، وفي انتظار موعد الجلسة الثانية. «لا أستطيع الوقوف لاستقبالكم»، تعتذر. وتستعيد شريط الـ 69 عاماً، هو ذاته الكتاب الذي غنّى له الراحل حسن الأسمر: «كتاب حياتي يا عين، ما شفت زيّو كتاب، الفرح فيه سطرين والباقي كله عذاب»، تسخر، ذلك أنه لا أحد تعذّب كما تعذبت هي، على الأقلّ هذا ما تؤمن به.

خطف الزوج

بدأت قصة سميرة عام 1976 عندما اختفى زوجها محمد نصر الله، بينما كان مع شقيقها في بلدتها تعلبايا بحضرة لإصدار جوازات سفر طمعاً بحياة آمنة في أوستراليا. لم ينجحا في الهروب، سحبتهما الحرب الأهلية إلى نفق المفقودين المظلم. كانت سميرة ابنة الـ 22 عاماً آنذاك، عروساً تفقّد حبيبها. عبثاً، بحثت عنه بين تعلبايا وبلدته شمسطار.

مضى الكثير من الوقت على الحادثة، والمرض والعمليات الثلاث التي أجرتها في رأسها تنهك ذاكرتها، وتفقدها الكثير من اللحظات، لكن لا شيء يمحو التاريخ، الآلام حاضرة في ذاكرتها، وتسعفها شقيقتها لإطلاق العنان لها. ظلت سميرة 25 عاماً مخلصة لزوجها. لم تقطع الأمل من عودته، لطالما تخيّلته يطرق الباب، يطلّ من سيارة مارّة، يحضر بين الجموع... ثم أُجبرت بعد 25 سنة من غيابه على طلب الطلاق الغيابي منه لتنتقل إلى نفوس والدها المتقاعد من وظيفته الحكومية لتحصل على الطبابة، من دون أن تقتل هذه الخطوة «حبي الأزلي له».

«بريدوت اني يسرقوني»

بعد غياب الزوج، انتقلت سميرة

> **لبست ذات مرة ثياباً رثّة واصطنعت دور المتسوّلة لتسترق النظر إلى طفلتها**

وابنتها رانيا، التي كانت تبلغ من العمر 4 أشهر، للعيش في كنف والدها، برفاهية، حيث امتلكت سيارة وخصّص لخدمتها سيدة. لم يكن ينقصها غير عودة زوجها الذي انتظرته ورفضت الزواج بعده. طوال 7 سنوات لم يكن هناك أية مشاكل مع أهل الزوج الذين اعربوا عن عدم قدرتهم على الإنفاق على حفيدتهم. ذات يوم ربيعي مشمس من شهر أيار، خسفت الشمس ولم تعد، هبّت رياح عاتية غيّبت الربيع كما غيبت والده. زارت سميرة أهل الزوج في منزلهم في شمسطار برفقة ابنتها، ورجعت من دونها، ترافقها وحدتها من عام 1982 إلى اليوم. ليلاً، طلبت الطفلة من أمها مغادرة بيت جدها «لأنو بدّهم يسرقوني»، فلم تكترث الأم لتخيلات «طفولية بريئة»... صباح اليوم التالي، طلبت العمة من سميرة أن تصطحب رانيا للتسوّق، فوافقت. مضت ساعات ولم تعد صغيرتها، وعندما سألت عنها، كان جواب العائلة صادماً «ذلك أنهم خططوا سراً ولم يظهروا أي نيات خبيثة»، قالوا لها: «أنس ابنتك كأنك لم تنجبيها»، مثل مسلسل خرافي، مفعم بالمبالغة. صرخت الأم فلم يسمعوا، بكت وانهارت عصبياً فاتوا لها بطبيب وهم يعرفون أنها لا تحتاج إلى أمصال وأدوية. أخفوا «العلاج». توسّلتهم وبعدما «فقدت الأمل من إنسانيتهم، عدت إلى بيتي وحدي مفجوعة. لا أفهم ماذا حصل، ولا لماذا، فخمّنت: هل لأنني أتيت بزوجي إلى بلدتي تعلبايا يوم خطفه ولم نذهب إلى شمسطار؟»

كيف مرت السنوات؟

لم تكن مسألة وقت، استمرّ الظلم حتى يومنا هذا. «طرقت باب الشرع فانصفني السيّد الشهيد عباس الموسوي قائلاً إنه يحق للأم حضانة أولادها بغياب الأب. حتى القضاء والأمن وقفا في صفي، لكن كلما توجّه العناصر ليأخذوها كانت العائلة تخفيها. لك أن تتخيل كيف مضت هذه السنوات، ولا تزال». ما عادت رائحة رانيا تعبق في ثيابها لتعزّيها، ولا عادت الألعاب التي تركتها تنفع بعدما كبرت وصارت شابة. الصور توقفت عند سنّ السابعة، والزمن يمضي فوق شوقها وحنينها، يحمل «ماتم» عيد الأم، ودموعاً في الأفراح والاتراح. كل خبر عن رانيا التي تخرّجت من الجامعة وصارت معلمة، تزوّجت، تطلّقت، فتزوجت ثانية، يحيلها إلى حرمانها الأول. يوم عرسها «هناك من سرّب لي صورها، كبّرتها وعلّقتها على الحائط».

عدا ذلك، حاولت سميرة مراقبة رانيا من بعيد، فكانت تزداد شقاءً. ليست ذات مرة ثياباً رثة واصطنعت دور المتسوّلة لتدخل سراً إلى شمسطار من دون أن يعلم أهل الزوج بذلك. دخلت بيت الجارة واسترقت النظر إلى ابنتها من الشرفة. كانت تريد فقط أن ترى كيف أصبح شكلها بعد كلّ هذه السنوات، وكان لها ما أرادت. هنا ما عادت قادرة على تمالك نفسها، انهارت بالبكاء، «ماذا أقول بعد، الجرح عميق». تروي كيف وقفت منذ سنتين في عزاء عمتها من بعيد تترقب مرور رانيا، حتى رأتها، «هذه ابنتي تشبهني، كبرت كثيراً»، قالت باندفاع، «ركضت إليها وحضنتها فلم تكترث، كان موقفها بارداً جداً، ومؤذياً في آن»... رغم ذلك، عندما دخلت سميرة غرفة العمليات وخرجت منها «هدست بها، هي وحدها، ابنتي، ماذا أفعل».

لماذا ترفضني؟

انتظرت سميرة ابنتها لتكبر خلف باب موصد. ظنّت أنها عندما تتحرر من سلطة أهل جدّها الذين أخذوها عنوة ستسمع الحقيقة وتعود إلى أحضان والدتها. لكنها، «رفضت رؤيتي أكثر من مرة وبكامل إرادتها، وقسّا قلبها كثيراً إلى حدّ لم تكترث فيه لطلبي لها وأنا على فراش الموت، رغم علمها بأني أصبت بالسرطان». تشعر سميرة بالأمومة تلحق الأذى بها، نعم، تؤلمها قساوة الابنة وكيف لفظتها من حياتها، إلغاؤها الذي لا يتوقف، ولا يبرّر.

دوامة من الأسئلة لا تجد لها إجابات: «هل جعلت الحياة بلا أم ولا أب ابنتي أكثر خشونة؟ لماذا ترفضني؟ ماذا قالوا لها؟ هل أوهموها أنني تركتها؟ وأنه لو اختارتها لقبلت العيش معها أينما كانت؟ هل حمّلوني وزر اختفاء والدها؟ أم أنها لم تفهم لماذا طلبت الطلاق غيابياً؟

«ياريت لو بتجي»

تسابق سميرة الموت، وكلّ أملها أن تعرف ابنتها الحقيقة. منذ سنة، صدمت بكتلة في أمعائها. وبعد تلقي العلاج اكتشف الأطباء أكثر من كتلة خبيثة في الرأس، استدعت إجراء عمليات جراحية وجلسات من العلاج الكيميائي والشعاعي.

اليوم، يتفشّى «الخبيث» في أنحاء جسدها، ولا يشفع لها عند ابنتها. لو عاد الزمن إلى الوراء، لـ«ساعدت أكبر عدد من الناس بشتى الطرق»، علماً أنها بحسب شقيقتها ناهية «لم تقصّر، أمضت 30 عاماً من حياتها في الأعمال الخيرية من جمع التبرعات للفقراء والمساكين ولشراء الأكفان وفي غسل الموتى، وخدمة المساجد، لذلك القرية كلها تدعو للحاجة سميرة بالشفاء».

لا تخاف سميرة من الموت، لكنها تخاف مما سيحصل مع والدتها العجوز بعدها. «لم أقصّر في خدمة والدي، لذلك آخر ما قاله بينما كانت روحه تفارق جسده: الله يرضى عليك، عذبتك معي». تريد أن تؤدي «المهمة» مع والدتها أيضاً. ماذا عن ابنتها؟ «ما عاد أي شيء يستحق، لا أسامحها»، ثم يطرق قلب الأم طرقاتٍ متسارعة، وتصحّح: «إذا جاءت أسامحها، يا ريت لو بتجي».

اصيبت بالسرطان قبل عام وهو يتفشى اليوم في انحاء جسدها (هروات بوحيدر)

أخبار

ما كلّ ما يتمنّى وزير التربية يدركه

تسلّم وزير التربية عباس الحلبي من المدير العام للتربية عماد الأشقر تقريراً إحصائياً يشير إلى «أنّ المعدل الوسطي العام للمدارس التي فتحت، وقامت بالتدريس بصورة طبيعية بلغ نحو 80 بالمئة». وأمل الحلبي «أن يصبح التجاوب غداً (اليوم) كاملاً في كل المناطق اللبنانية».

إلا أنّ ما يجري على الأرض مخالف تماماً لآمال الحلبي، وتقارير الأشقر، فإضراب الأساتذة في الثانويات مستمرّ من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، وانتفاضتهم المتجدّدة على الوزارة وتقصيرها وإهمالها وتهديداتها لهم من جهة، وعلى الروابط وتفرّدها بالقرار من جهة ثانية تعمّ الأراضي اللبنانية، إذ «وصل عدد الثانويات التي أقفلت تماماً إلى 230 ثانوية من أصل 275»، بحسب إحصاءات الأساتذة.

وفي الثانويات التي فتحت أبوابها للتدريس، يمتنع معظم أساتذة الملاك فيها عن الدخول إلى صفوفهم، ويقتصر التعليم على بعض المتعاقدين، مثل حال ثانوية رياض الصلح في بيروت، التي وضعت برنامجاً تدريسياً لثلاثة أساتذة فقط، ويتوقع مراقبون أن يلتحق المزيد من الثانويات بركب الإضراب، إذ يتسبّب عدم إلتحاق الأساتذة بصفوفهم بعد حضور التلامذة بالفوضى، وبالتالي تقوم الإدارات بإعادة الإقفال.

ولم تنفع الـ 50 دولاراً الإضافية التي وعد بها وزير التربية مديري المدارس في دفعهم للوقوف بوجه أساتذتهم، إذ يفيد المعلّمون في أكثر من ثانوية عن «وقوف المديرين في صف الأساتذة المضربين، والتحريض على عدم وقف الإضراب، لعدم تحقّق أيّ من المطالب».

(الأخبار)

إضراب مدارس بعد الظهر: ابتزاز الجهات المانحة؟

لم يشمل قرار روابط التعليم الرسمي بفكّ الإضراب، مدارس بعد الظهر لتعليم اللاجئين السوريين. وفيما تردّد أن وزارة التربية تواصل الضغط لابتزاز الجهات الدولية المانحة، عزا عضو لجنة أساتذة الدوام المسائي لغير اللبنانيين، إبراهيم خليل، استمرار الإضراب بخروق محدودة إلى أن «وزير التربية، عباس الحلبي لم يوقّع بعد على قرار أعدّته المديرية العامة للتربية، وطلبنا إدخال تعديلات عليه، وخصوصاً ما ورد في مادته الأولى لجهة تسديد مستحقات الأساتذة المستعان بهم عن كامل العام الدراسي الحالي 2022 ـ 2023 وليس عن الأشهر الثلاثة الأولى فحسب، كما ورد في القرار، بالفريش دولار، مع اعتماد ما قيمته 2,5 دولار لأجر الحصة المنفّذة عملياً. وقد نصّت المادة الثانية من القرار على استفادة المستعان بهم في المدارس والثانويات الرسمية في دوام بعد الظهر، والمستعان بهم على نفقة الجهات المانحة في دوام قبل الظهر، من بدل النقل المعطى للمتعاقدين على نفقة الوزارة، ابتداءً من التاريخ المحدّد في مرسوم مجلس الوزراء الصادر في آذار 2023 (أي 5 ليترات بنزين)، وعلى أساس 3 أيام أسبوعياً كحد أقصى وفقاً لآلية التي ستُعتمد للمتعاقدين. وهنا أكدت اللجنة ضرورة أن يشمل البدل العاملين في دوام قبل الظهر من الملاك والمتعاقدين الذين ينتقلون من مدرسة إلى أخرى في تعليم بعد الظهر، على أن يُستثنى العاملون في المدرسة نفسها من هذا البدل. أما المادة الثالثة فنصّت على استفادة المستعان بهم في دوام بعد الظهر، المكلّفين بأعمال التدريس أو بمهام ذات طابع إداري وفق الأصول، والذين يعملون في دوام قبل الظهر بالملاك أو بالتعاقد من بدل إنتاجية لكل دوام على حدة. إلى ذلك، طالبت اللجنة بتعويض مالي في حال تكثيف الدروس أيام العطل لتعويض التلامذة ما فاتهم».

العودة إلى الصفوف مرتبطة بتحقيق هذه المطالب، كما قال خليل، مشيراً إلى أن هناك 4316 أستاذاً يعملون في دوام قبل الظهر وبعده، و8 آلاف أستاذ ومرشد تربوي وصحي يعملون في دوام بعد الظهر وحده. ولفت إلى أن الأساتذة لم يتقاضوا حتى الآن مستحقات هذا العام، فيما لا يزال جزء من مستحقات نحو 700 أستاذ عن العام الدراسي الماضي عالقاً أيضاً. وشرح كيف أن «اليونيسف لم تدفع لأساتذة بعد الظهر الحوافز عن العام الدراسي الماضي (90 دولاراً) كما يفترض، إنما جرى اقتطاع 7 أو 8 ملايين دولار من هبة الـ 37 مليون دولار التي تلقّتها وزارة التربية من البنك الدولي». وبحسب خليل، كانت حجة اليونيسف في العام الماضي أنها لم ترصد المبالغ في الميزانية المخصّصة للتعليم، ولا تستطيع أن تدفع بدل النقل للدوام المسائي، ما لم تدفعه الدولة اللبنانية للدوام الصباحي، على الرغم من وجود قرار لوزير التربية في هذا الخصوص.

مصادر «اليونيسيف» اكتفت بالتأكيد على ما ورد في بيانين أصدرتهما في وقت سابق لجهة دعوة الحكومة اللبنانية إلى إعطاء الأولوية لحلول طويلة الأجل من خلال ميزانية الدولة لعام 2023، وحثّها على اتخاذ خطوات لدعم المعلمين من خلال تحديد دخل يحفظ كرامتهم ويساعد الأطفال في الحصول على تعليم جيد وامن وشامل، وطالبت بعودة جميع الأطفال وضمان عدم انقطاع التعلم مرة أخرى.

(الأخبار)

«عمّال الساحة»: نهاية سعيدة

نهاية سعيدة لقصة «عمّال الساحة» في شركة غلايياني التابعة لشركة الشرق الأوسط للخدمات الأرضية في مطار بيروت الدولي (MEAZ). إذ أفضى التحقيق مع الموظفين العشرين الذين أدرجت أسماؤهم على «لائحة المتمردين» إلى عدم وجود خلفيات للوقفة التحذيرية التي نفذوها في 17 شباط الماضي، وأن إضرابهم يعود لمطالبتهم بحقوق العمال في تصحيح رواتبهم فقط ولرفض الظلم والتمييز بين موظفي المطار (بين من صححت رواتبهم وصاروا يتقاضونها بالدولار الأميركي ومن لا يزالون يتقاضونها بالليرة).

وعليه، قرّرت إدارة الشركة إرجاع الموظفين الـ9 الذين علّق عملهم إلى المطار، أمس، بعد توقيعهم وبقية الموظفين الـ20 على إنذار أنها المرة الأخيرة التي يضربون فيها فجأة عن العمل وإلا يُصرفون. وتعهد بعدم تكرار ما حصل ومراجعة الإدارة عندما يكون لديهم أي اعتراض أو شكوى أو مطلب. قرار الإدارة أنصف العمال وكان لهم ما أرادوا. لن يصار إلى إلغاء المخصصات الدولارية من رواتبهم بفعل التغييب. حتى أن الإدارة ستسدّد بدلات الأيام التي تغيّبوا فيها قسراً. ولن تحسم غير بدلات ثلاثة أيام. أما بالنسبة لـ80 دولاراً، الزيادة على الراتب التي حرموا منها، فوعدتهم الإدارة بالحصول عليها فور عودتهم.

(الأخبار)

زهرة العبدالله: سيدة الأعمال التي تحدّت «إسرائيل»!

آمال خليل

في آخر نقطة جنوبية بين الجولان السوري وفلسطين المحتلين، شُيّدت زهرة العبدالله منتجعها السياحي بعد عدوان تموز 2006. جمعت مدخراتها وخبراتها وغرستها في أرض ورثتها عن والدها على ضفاف نهر الوزاني. حاول العدو الإسرائيلي منع تشييد المنتجع. احتجوا لدى قيادة «اليونيفيل» لمنع صاحبته من المتابعة. مراراً قطع جنوده النهر ودخلوا إلى

> **المليون الأول الذي جنته كان من عقار صغير في وسط السوق التجارية في صيدا**

حرمه لترهيب العمال (لا يزالون حتى الآن).

ظنّت العبدالله بأن تحدّي «إسرائيل» سيكون الأصعب، لكنه كان الأسهل. «واجهت أعداء كثراً حاربوني لأني امرأة، منهم من قلّل من قدرتي على إدارة مشروع ضخم. ومنهم من حاول إقناعي بأني أضيّع أموالي. وعندما أصررت على الاستمرار، سرقني الجميع لأني امرأة. ظنوا بأني لا أفهم بالبناء أو بالحفر وإمدادات الكهرباء... حتى الخضرجي واللحام سرقاني».

على نحو مسبق، حكم هؤلاء على العبدالله بأنها «اعتدت على الكار. لذا، لا مانع من استغلالها». قدّموا لها فواتير عن تكاليف الأشغال بأسعار مضاعفة باعتبار أنها «امرأة، شو بيفهمها؟». الحكم نفسه أطلق عليها عندما أسّست شركة لبيع السيراميك المستورد من إسبانيا. شاركت رجالاً لبنانياً وسيدة أجنبية، الشريكتان تعرّضتا للسرقة وانسحبتا من الشراكة.

لا للانتقام

في الوزاني، لا تزال العبدالله صامدة. الهجمة الذكورية عليها، لم تجعلها تثار من الرجال جميعاً. لم تفكر في توظيف النساء حصراً، كما لم تتعمد توظيف أعمال تليق بهما. أفضل تكليف النساء بالتعامل مع الزبائن في صالة المطعم، كما في إعداد الطعام. في المقابل، أخصّص وظائف الحراسة وتقديم الطعام للرجال». العبدالله منتسبة إلى نقابة أصحاب المطاعم في لبنان. لديها زميلات قليلات في بيروت ومحيطها، لكن لا قريبات لها في الجنوب، لا سيما في منطقتها، كصاحبة مؤسسة سياحية بحجم مؤسستها. تجربتها الخاصة لا تسمح لها بلوم النساء. «المسألة ليست طموحاً بقدر ما هي ظروف مناسبة. أحياناً الأموال وحدها لا تكفي المرأة لتواجه الحروب التدميرية التي تخاض بوجهها». بعد تجارب مؤلمة مع محامين، التزمت العبدالله منذ سنوات طويلة بتوكيل محامية لمتابعة شؤونها. الأخيرة كانت «على قد الحمل. عدا عن شطارتها، فهي مؤتمنة ووفية بخلاف المحامين الذين باعوني لخصومي».

المليون الأول

لم تبدأ العبدالله تجربتها المهنية، كسيدة أعمال. والدها أجبرها على الزواج في سن الخامسة عشرة. «عندما لمس حجم الجريمة التي اقترفها بحقي، ساعدني على الطلاق». عادت لتكمل دراستها، وأنهت السنة الدراسية الأولى في علم النفس. بالتزامن، كانت أول مهنة عملت بها التزيين النسائي. لم تعجب والدها الذي أجبرها على تركها. بعد زواجها ثانية، احتاجت للعمل للمساهمة في الإنفاق على منزلها وأولادها. عملت مندوبة لمصلحة مؤسسة إعلانية. تقرّ بأن شكلها الجميل شجّع أصحاب المؤسسة على توظيفها. «خلال عشرين يوماً، تمكنت من توقيع عقود إعلانات بما يزيد على مئة ألف دولار حصلت على نسبة من الأرباح، دفعتها كقسط أول للشقة التي كانت أول ممتلكاتي». طلبت العبدالله الطلاق للمرة الثانية «بسبب التعنيف الذي تعرضت له من زوجي الذي كان يغار بشكل مرضي ويرفض عملي خارج المنزل». الثالثة كانت ثابتة معها. تزوجت أخيراً من فرنسي من أصل لبناني. «وجدت معه الفرق من السماء للأرض وأدركت بأن الرجل يتصرف تبعاً لتربيته ونشأته». لم يكتف زوجها بجمالها الخارجي أو بأمومتها لطفلتيه. لما بلغت الثالثين، أجبرها على تحدي المليون. «عندما بلغت الثلاثين، كنت قد جنيت أول مليون دولار في حياتي. أنت ماذا لديك؟» سألها. المليون الأول الذي جنته، كان من عقار صغير في وسط السوق التجارية في صيدا. كان في الأساس منزلاً قديماً متصدّعاً يقع على مساحة حوالي 220 متراً. اشترته من الورثة ورمّمت المنزل ومحيطه وحولته إلى «بوتيك» للألبسة النسائية وارتفع سعر العقار إلى ما يزيد على المليون دولار.

لا تزال العبدالله صامدة في الوزاني (الأخبار)

تقول العبدالله إنها ليست متأكدة ما إذا كانت ستصبح سيدة أعمال في حال لم تحظ بدعم زوجها الفرنسي، الذي توفي قبل أن تنشئ منتجعها السياحي. وحده من شجعها على تحقيق ذاتها مهنياً. «قبله وبسبب اهتمامي بشكلي الخارجي وأناقتي وطموحي العملي، عانيت من الحكم المسبق من كثيرين. منهم من اتهمني بأني استخدم جمالي لأصل ومنهم من استخف بقدراتي العقلية».

النساء في سوق العمل: حضور وازن مع وقف التنفيذ

تملك نساء لبنان حضوراً عملياً وازناً مع وقف التنفيذ. عاماً بعد عام، يتقدّمن في نسبة الوظائف في غالبية القطاعات المهنية والتعليمية، من دون أن ينعكس الأمر، بالنسبة نفسها، على المواقع القيادية. ازدواجية الحضور تبلغ ذروتها في التمثيل السياسي والمجالس المنتخبة والتعيينات الرسمية

في كل عام، تحدّث «الدولية للمعلومات» إحصاءاتها عن نسبة النساء في القطاعات المهنية. يفاخر رئيسها جواد عدرا بأن غالبية العاملين في مؤسسته، نساء «هنّ الأكثر التزاماً وجدية وأمانة». في إحصائها الأخير الذي أنجزته المؤسسة عن عام 2022، حاز قطاع التعليم على النسبة الأكبر للحضور النسائي 77%، إذ لا يزال مع مهنة التمريض، الوجهة الكلاسيكية المتوارثة. وبحسب الباحث محمد شمس الدين، فإن هذه المهنة «لا تزال تجذب الكثير من النساء لكونها الأكثر استقراراً وتوائم بين وظيفتها وبين منزلها الزوجي وأولادها لناحية الدوام اليومي والأعطال على مدار السنة». في المرتبة الثانية، حلّ قطاع المصارف. وينقل عدرا عن صاحب أحد المصارف قوله إن «كفاءة النساء سبب رئيسي لوجودها المتمدّد في الوظائف الإدارية المصرفية، لكن لهجرة الشباب أيضاً دوراً كبيراً أيضاً». في المرتبة الثالثة يحلّ القضاء. بحسب شمس الدين، بلغ عدد القاضيات 516. لكن كم منهن يترأسن محاكم أو يتبوأن مناصب قيادية، لا سيما في

> **تحضر المرأة بكثافة في قطاعات التعليم والتمريض ثم المصارف والقضاء**

القضاء العسكري؟ يشير شمس الدين إلى أن التقدم النسوي سجل على الصعيد الكمي والنوعي في القضاء، ليس بسبب كفاءتهن فقط، بل أيضاً بسبب تطوّر العمل أيضاً. «سابقاً كان المدعي العام أو قاضي التحقيق مجبراً على التنقل في أي وقت إلى مواقع بعيدة، حينها، لم يكن مالوفاً بأن تكلف امرأة بالانتقال إلى محكمة في الأطراف أو أن تنزل قاضية تحقيق إلى موقع الجريمة في الليل».

في الإحصاء المفصّل الذي أجرته «الدولية للمعلومات» عن عمل النساء عام 2015، تبيّن بأن النسبة لا تزال أقلّ من عدد المتعلمات. حينها كان حجم القوى العاملة 25% (325 ألف عاملة). فيما عدد الخريجات الجامعيات للعام الدراسي 2012-2013 بلغ، 54% (104 آلاف خريجة). بعد ثمانية أعوام، لا تزال النسبة متقاربة، بحسب عدرا الذي يعيد السبب إلى جملة اعتبارات اجتماعية واقتصادية. منها الهجرة بغرض العمل، التي تقبل عليها النساء ولو بنسبة أقلّ من الرجال. فيما عدد من أصحاب العمل يرفض توظيف النساء المتزوجات خوفاً من إجازة الأمومة والفرص المتكرّرة للعناية بصحتها وبشؤون أولادها. وبعد الأزمة الاقتصادية الأخيرة، اضطرت كثير من الموظفات إلى ترك وظائفهن، إما لأن قيمة رواتبهن لم تعد تكفي لكلفة التنقل، أو لأنها لم تجد من يعتني بأطفالها في غيابها مع تراجع القدرة على استخدام عاملات المنازل.

آمال...

تونس
هل استعاد النظام الأمني سيطرته؟

هالة اليوسفي *

حملة الاعتقالات الأخيرة في تونس، التي شملت عدة شخصيات، سياسية ومن رجال الأعمال، متهمة جميعها بالتآمر ضد أمن الدولة، تعزّز الانطباع بأن البلاد تمر بمرحلة حاسمة من تاريخها، أضحى خلالها تطلع التونسيين إلى مشروع سياسي واقتصادي بديل، والذي عبّرت عنه انتفاضة 17 كانون الأول 2010، مهدّداً بشكل جدّي. هذه الحملة، غير المسبوقة منذ الإطاحة بزين العابدين بن علي، أحيت المخاوف من إرساء نظام سلطوي جديد في سياق اقتصادي واجتماعي شديد الاضطراب. إضافة إلى ذلك، يأتي بيان الرئاسة التونسية، الصادر إثر اجتماع مجلس الأمن القومي، والذي ينص على «اتخاذ إجراءات عاجلة ضد الهجرة غير الشرعية لمواطنين من بلدان أفريقيا جنوب الصحراء»، والذي يرى في وجودهم في

> **المشهد قاتم، وتونس تتحول من سجن في الهواء الطلق إلى جحيم بحدود موصدة، بغية تجديد العقد النيوكولونيالي بين النخب المحلية والنخب الغربية**

تونس مصدراً لـ«العنف والجرائم والأفعال غير المقبولة»، ليضفي مضموناً عنصرياً على المنحى الاستبدادي الراهن.

الاستنتاج الذي تؤكده مجمل هذه التطورات هو أن المنظومة الأمنية، المؤلفة من النظام القضائي والشرطة والجيش، تحاول إعادة تنظيم صفوفها في ظل قيادة قيس سعيد. الدولة والمجتمع في مواجهة تهديد غير مسبوق. 12 عاماً بعد سقوط بن علي، يجد التونسيون أنفسهم أمام دولة فاشلة يحافظ على بقائها نظام أمني عبر اللجوء الحصري إلى القمع. والأنكى في مقابل مثل هذا التحدي، هو عجز القيادات السياسية المختلفة التي توالت على السلطة منذ 14 كانون الثاني 2011 على التقييم الصحيح لتداعيات القرارات، القصيرة النظر والمتجاهلة للواقع المعاش للشعب التونسي، التي اتخذتها. فهي تخلت ببساطة عن سيادة تونس لمصلحة الجهات الدائنة. هل ما زال الخلاص من هذا الوضع ممكناً؟

الجواب على هذا السؤال قد يكون بالإيجاب، بشرط أن تقرر الطبقة السياسية باطيافها كافة، في السلطة وفي المعارضة، القطيعة مع منطق الإذعان، والخروج من حالة الانحلال التي أوصلت نفسها إليها. يفترض مثل هذا المسعى وضع الأحداث المستجدة في السياقات التي سادت خلال العقد الأخير.

تسارع انحلال الدولة بفعل الأزمة الاقتصادية والاجتماعية

انتفاضة 17 كانون الأول 2010، التي انطلقت من المناطق المهمشة، وكان للعاطلين من العمل دور ريادي فيها، حول شعاري «الشعب يريد إسقاط النظام»، و«شغل، حرية، كرامة وطنية»، أظهرت بجلاء الاختلالات البنيوية في الاقتصاد التونسي، المرتكز على أنشطة اقتصادية ذات قيمة مضافة ضعيفة، والذي يعاني من معدلات بطالة بين الأعلى عالمياً، ومن إدارة ريعية للموارد الطبيعية، ومن فساد منظم واسع النطاق بإشراف العائلات الحاكمة. وفي حقبة ما بعد 14 كانون الثاني، تنامت في تونس ظاهرتان عجلتا من انحلال مؤسسات الدولة. في مرحلة أولى، تمحورت التحديات السياسية حول مسار البناء المؤسساتي، الذي كان يفترض أن يقود إلى الاستقرار السياسي ويتيح الانتقال إلى نظام ديموقراطي. جميع الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى صنفت «هامشية»، وغير ذات أهمية، مقارنة بما اصطلح على تسميته «التحديات الفعلية» للدمقرطة. وقد أدّى التنافس المحتدم بين النخب السياسية والاقتصادية القديمة من جهة، وتلك الجديدة، بخاصة المرتبطة بحزب «النهضة»، من جهة أخرى، للتحكم بالسلطة إلى إضعاف جميع مؤسسات الدولة. تزامن ذلك مع ضغوط الجهات المانحة لمصلحة اعتماد نفس الوصفات النيوليبرالية المسؤولة لدرجة كبيرة عن تفاقم الأزمة الاقتصادية والاجتماعية. وكانت هذه الجهات، في الفترة التي تلت الثورة مباشرة، قد أقرت بخطاياها وبسوء تقديرها للأوضاع في البلاد. لقد أفضى تضافر المنطق النيوليبرالي مع سيادة الزبائنية في ممارسة السلطة إلى انحلال مطرد للدولة وإلى إضعاف للحمة المجتمع. وبطبيعة الحال، فإن الأزمات الإقليمية المختلفة ومحاولات التدخل الخارجي لم تسهلا معالجة الفوضى المؤسساتية المتزايدة، إلى جانب هذه الأعطاب البنيوية، أسهمت عوامل ظرفية، كجائحة «كورونا» والحرب في أوكرانيا، في تعميق المأزق الذي تواجهه البلاد.

عن استحالة إصلاح جهاز الأمن

هذه الفوضى المؤسساتية كانت لها مفاعيل جدية بالنسبة للسلطة الأمنية في تونس. لا بد من التذكير بداية بأن السلطة الأمنية في تونس أيام نظام بن علي، كانت مجيرة لخدمة السلطة السياسية. هذا ما يفسر وضع مسألة تغيير طبيعة الجهاز الأمني، بخاصة وزارة الداخلية، الأداة الأولى للسيطرة والتحكم الاجتماعي وللقمع، على رأس جدول الأعمال السياسي بعد هروب بن علي. وعلى الرغم من القرارات المتخذة، كحل الشرطة السياسية وإدارة أمن الدولة، وبروز لاعبين جدد كالنقابات، فإن نتائج مثل هذه القرارات كانت محدودة الأثر. ففي هذا الميدان أيضاً، دفع التنافس اللاعبين السياسيين إلى تغليب أجندتهم الخاصة عبر تعيين أنصارهم في المؤسسات، وبناء التحالفات في داخل مؤسسة الشرطة.

النفوذ المتنامي لنقابات الشرطة وانتشار الزبائنية وغياب الإرادة السياسية وضعف الإمكانات المالية هي جميعها عوامل حالت دون صياغة سياسة عامة أمنية تحترم كرامة المواطنين وتصون المصلحة العامة. في ظل هذا التنظيم الجديد لسلطة أمنية بلا قيادة مستقرة وواضحة، كما كانت الحال أيام بن علي، من غير المستغرب أن يكون القمع المنهجي هو الوظيفة الغالبة والثابتة بين وظائف السلطة الأمنية في ظل الحكومات المتعاقبة منذ 14 كانون الثاني.

سلطة أمنية ضامنة للسيادة التونسية أو حارس خانم لحدود الموت الأوروبية؟

قرّر قيس سعيد إنهاء النظام البرلماني في تونس في 25 كانون الثاني 2021 وفي سياقات انحلال الدولة وتزايد ضعف النظام الأمني وتصاعد حدة الأزمة الاقتصادية والاجتماعية. وهو، على الرغم من أنه جسّد أملاً بالنسبة لحركة شعبية، ليست من نمط الأحزاب البرلمانية، صوتت لمصلحته، لم يتمكن من تقديم حلول تسمح بالتصدي للتحديات التي يواجهها الشعب التونسي. فالرئيس، الذي ليس لديه حزب سياسي ولا سلطة اقتصادية داعمة له، لا يجد سوى لاعبي النظام الأمني، وبخاصة وزارة الداخلية، كمحاورين وفاعلين يعتمد عليهم. تحليل التطورات التي برزت في الآونة الأخيرة ينبغي أن يتم على ضوء هذه الوقائع:

فإذا كانت حملة الاعتقالات قد كشفت أولاً إرادة السلطة الأمنية في تونس باستعادة سيطرتها، فإنها في الآن نفسه قد أوضحت عجز حكومة قيس سعيد عن معالجة الأزمة الاقتصادية والاجتماعية. ثانياً، الخطاب السيادي لقيس سعيد لا ينسجم بتاتاً مع إذعان حكومته للأوروبيين. وعندما يتبنى نظرية «الاستبدال الكبير» حيال المهاجرين الأفارقة، وهي نظرية أطلقها اليمين المتطرف الأوروبي، يكرّس سعيد دور تونس كوكيل للسياسة الأمنية الأوروبية في مقابل بعض المكافآت المالية. السيادة التي يكثر الحديث عنها، على غرار سابقيه، لا تعني في الواقع سوى قدرته على قمع معارضيه، وعلى مراقبة حدود أوروبا، التي يتساوى في الموت دونها مواطنون من تونس ومن دول أفريقيا جنوب الصحراء. هذه المواقف التي تتجاهل الواقع الراهن للدولة والمجتمع تفسخ المجال أمام أقصى أشكال العنف الاجتماعي والسياسي، ويبعث الوحش الأمني من رماده، في قلب دولة مفككة وفاقدة للقدرات، ليضرب بقوة أكبر.

المشهد قاتم، وتونس تتحول من سجن في الهواء الطلق إلى جحيم بحدود موصدة، بغية تجديد العقد النيوكولونيالي بين النخب المحلية والنخب الغربية. مضمون هذا العقد واضح، ولم يتغير منذ بن علي. يجب أن تبقى تونس، وبقية القارة الأفريقية، خزاناً للبد العاملة لأوروبا، وللموارد الطبيعية الرخيصة، وسوقاً تتدفق إليها المنتجات، ولكن ذات حدود موصدة أمام حرية حركة الناس. سيرحل قيس سعيد، على غرار بن علي، ولكن ما العمل للتصدي لنظام الموت السياسي والاقتصادي، الذي يمتلك مقدرة مذهلة على التكيف؟ الإجابة ليست سهلة. ربما علينا أولاً التفكير ملياً في أخطاء الماضي.

* باحثة من تونس ، أستاذة الاقتصاد في جامعة دوفين - باريس

(أ ف ب)

دكتاتورية مُرتجلة!

سمير بوعزيز *

الدكتاتور يعرفُ ما يُريدُ ويُخيطُ الطريق إلى أهدافه. يُهيمنُ على المجتمع بتطويع مؤسساته، فيضع اليد على الأحزاب والمنظمات وينشئ تنظيماته القومية والشبيبية وشبه العسكرية وميليشياته ذات التنظيم العلني والسري، داخل مؤسسات الدولة وفوقها في غرف القيادة، وحولها بأدوات التحكم. وللدكتاتور حزْبَةُ، ولهُ كتابات (قد تُكتب لهُ) وخطابات صارمة دون ارتباك، وخطاباتٌ مفهومة لقرارات لا تُردّ. وللدكتاتورية أدبيات فاشية ونصوص تُحفظ وأناشيدُ تُرتّل. وللدكتاتور خُطط.

دكتاتورنا هذا نُسخةٌ فريدة. جاء وحدهُ بلا كتاب ولا حزب وبلا فكرة واضحة. جيشهُ بلا قادةٍ أركان، من شاء فليُعلن أنهُ «الوزير الأكبر» والمقرّب والمُستشار الأول. ومن شاء أوّل ما قال «الرئيس» وأصدر «الفرمان» لجمهور لا يملكُهُ أحد ليُنفّذ أحكاماً خارج القانون ويكيل التهم باسم «الشعب».

لقد تبيّن اليوم لمن كان مُتردّداً أنّ قيس سعيّد ذاهبٌ إلى التأسيس الدكتاتوريّ في دولةٍ بدأت منذ عقدٍ تؤسّس لنظام ديموقراطيّ. فرغم العثرات الكثيرة ومحاولات الالتفاف المُتعدّدة لم تبرح تُونس مساحة التجريب الديموقراطي. أن تكون في ديموقراطية مُرتبكة خير من دكتاتوريّة، والأسوأ أن تكون دكتاتورية عبثية تهدمُ ولا تؤسس، وتذهبُ إلى المجهول بلا وجهة.

الدكتاتور المُخطّط يعملُ على أن يُظهرَ أنّ الجميعَ معهُ. يستميلُ ويُجبرُ ويُخيف ويُبهرُ الجمهور أو يجعلُهُ يذعن. أمّا أن تفتحَ الجبهات بلا أفقٍ لحسمِ معركة واحدة فهذا ما لا عهدَ لنا به. فتُفتحُ في آن جبهات ضدّ الأحزاب والجمعيات والصحافة والقضاء والنقابات، وتُعلنُ أنهم «خونة» فهو أمرٌ لا يُصدّق. بل وتُفتحُ جبهةٌ ضدّ الخارج، سفارات معنيّة بالمؤامرة ودولٌ معنية بالمُشاركة والتدخل، وقوى بعضها علمناه وأكثرها لم نتبيّنهُ. يقول الرئيسُ إنها تستهدفه ومشروعهُ، وتستهدفُ «إرادة الشعب» التي هي في وعيه وحده، وبتأويل «جوقة» تُحاول الإيهام بمشروع بتصوير الباطل حقّاً وبعض الحقّ تشرّع لهُ فعلاً باطلاً. يقول كلاماً كثيراً بلا دليل، يتردّدُ على أفواه لا مسؤولية لها في الدولة، فيكون صدى كلّهُ كُرهٌ وعنفٌ وحقد. وتصمت المؤسسات الرسمية وكأنها تتلذّذ الفوضى.

■■■

تبدو هذه الدكتاتورية الجديدة آيلة إلى زوال قريب، حيث لا تعوّل على التنظيم بل على أفراد كثيرٌ منهم «طبّلوا» لأكثر من حزب ومن زعيم منذ عهد دكتاتورية الرئيس الراحل زين العابدين بن علي، ومنهم من لم يُساند قيس سعيّد مُرشحاً للرئاسة لكنهم يدعمون اليوم «خياراته»، إمّا لتصفية خصومهم/ خصومه السياسيين وإمّا لانتهازيتهم أو لالتقاء موقّت مع الرئيس، وهؤلاء لا يُؤتمنون. قد يكون لبعضهم حُسنُ نيات، ولكن كأنّما على أعيُنهم غشاوة.

أمّا الجمهورُ المنفعل فهو جسمٌ مُتحرك لا يمكن ضبطهُ. قد تُثيرهُ «الفرجة المحاسبتية» إلى حين، لكنّهُ قد يملّ ويذهب في أيّ اتجاه آخر، وخاصّة لعلاقته الزبونية بالدولة، والتي تمثلها السلطة الحالية، ففي حال عجزت عن تلبية حاجياته الاجتماعية والاقتصادية فإنّه لن يستمرّ في الفُرجة و«التشفي» من ممثلي «المنظومة» السابقة الذين وُضعوا في السجون (أو الذين سيلتحقون) وسيعتبرون أن الأمر لا يعنيهم كثيراً. وليس بالضرورة أن يلتحقوا بالمعارضة، وإن التحق بعضهم، فإن الأغلبية ستطالب بخُبزها ضدّاً للجميع.

هذه الأغلبية هي نفسها التي لم تخرج إلى مكاتب الاقتراع في أكثر من مناسبة. والصحيح أنها لم «تقاطع» استشارة قيس سعيد ولا استفتاءه ولا انتخاباته، ولا هي استجابت لدعوات المُعارضة، لكنّها «عزفت» عن ذلك وأعرضت عن المسار الذي مضى فيه وحدهُ كاتباً للدستور وواضعاً للقوانين وضابطاً لشروط اللعبة، والعزوف غير المُقاطعة يا أولي الألباب.

خرج جمهور ذات يوليو ففوضوهُ وانصرفوا إلى شؤونهم معنيين فقط بالخروج من الفشل، ولن يرضوا بأن يذهبوا إلى العبث. ومن العبث أن تُراهن على جمهور يتحسّس الخيارات، ويُحلّل نشرة الأنباء كما مُقابلات كُرة القدم.

قيس سعيّد لم يكسب جمهوراً كبيراً بما فعل. كان ثمة جمهور كبير ينتظر، منذ عقود، أن يُشفي أحدٌ غليلهُ بالمحاسبة (وباي شكل) ضدّ المنظومة بكل مكوناتها. جمهورٌ يستمتع بأخبار الإيقافات، إلى أن يجوع.

■■■

الدكتاتور هو الذي يطوّع القضاء ولا يكتفي بأن يُخيف بعض القضاة. وهو يجعل أغلب الأحزاب تجلس إليه وتعلن الولاء، لا أن تجتمع ضده وتُناصبهُ العداء. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الجمعيات والنقابات التي يدفعها الدكتاتور المُحترف إلى أن تُصدر البيانات المؤيدة وتعقد اجتماعات «التصفيق» الطويلة والخطابات التي تمجد «الزعيم». لا أن تخرج ضدّهُ متظاهرة، وتُصدر البيانات المُنتقدة.

يستعمل سعيّد القوى الصلبة وحدها، لكن القوى الأمنية والعسكرية يمكن أن تنضبط لـ«المُنتخب» وتنفذ الأوامر لكنها لا تملكُ سلطة حقيقية على المجتمع ولا تتمكن من إرضاخه، فقط يمكنها قمعه، وهذا أمرٌ لا يدوم. كما أنها قوى لها أجهزة تُحسنُ المراقبة وتحلّل الأحداث وتقدّرُ المسارات، ولن تذهب في كلّ الأحوال إلى آخر الهاوية. أمّا وصاحبنا قد جاء من وراء ظهر الدولة، ولم يُحاول أن يفهم اشتغالها فلن يمتلك الوعي بهذه الأمور، وانه يُسرعُ بالبلد إلى المجهول.

■■■

يعرفُ الدكتاتور كيفَ يفتعل الأزمات، وكيف يصنعُ عدوّاً ليوحّد الجمهور حولهُ. يقول قيس سعيّد في خطاباته، واصفاً أعداءه «الذين يعرفهم الجميع» لكنّه لا يُفصحُ عنهم، فلا تعلمُ من يحتكر السلع ومن يتآمرُ على أمن الدولة ومن يهدّد سلمها. صحيح أن السلطات اعتقلت أخيراً عدداً من المحامين ورجال الأعمال والسياسيين وللإعلاميّين بهذه التهم، ولكن لا يمكن أن نفهم الرابط بينهم، ولا أصل الحكاية وفصلها. إنّه يُخيطُ الحكايات تماماً كما يتكلّم، فهو يُعجمُ حيث يتوهّمُ أنه يُعرب.

■■■

وعادة ما يخرجُ جمهورُ الدكتاتور إلى الشوارع ويذهبُ مُعارضوه إلى السريّة، أمّا أن يتخفّى المُساندون خلف شاشات الحواسيب فهذا عيبٌ في عُرف الدكتاتوريات. فقط أطلقت اليدُ لتنهش لحمَ الأفارقة جنوب الصحراء وتسحلهم في الشوارع بتحريض من الدولة، حتى أصبح البلدُ عار أفريقيا.

إنها دكتاتورية وفاشية أيضاً!

بالنهاية، هذا نظامُ «التوجّه الدكتاتوري» لأنّ القوانين التي توضعُ رئاسوية كليانية، ولأنّ الخطاب رافضٌ للسلّم الاجتماعي يجنحُ إلى تجريم الحقوق والحريات، ولأنّ القبضة الأمنيّة وتوظيف القضاء أسلوبه الوحيد.

■■■

وللأمانة، فإنّ من سبق قيس سعيّد في الحُكم، وخاصّة حركة النهضة الإسلامية التي هيمنت على العقد الأخير، أضاعوا الفرص لتأمين الدولة والمجتمع من الرجوع إلى الدكتاتورية. كانوا يريدون مؤسسات هشة حتى يتمكنوا، فتركوها مباحة لأوّل قادم بسوء الأفعال حتى ولو كان في سريرته بعض النيات الحسنة.

لقد حاولوا رسكلة النظام القديم، وتوهّموا أنهم سيطروا، حتى أصبح شيخهم صاحب القول الفصل وإمام الدولة. فكانت تونس دولة مدنيّة يُحدّد مصيرها «مجلس شورى» فلا مدنيّة بمعادلات إسلاموية، وبولاءات خارجية فوق مصالح الشعب.

■■■

سبق عبثُ سعيّد فشلُ حكم الغنوشي.

أمّا هذه الدكتاتورية فإنها مُرتجلة وهشّة، لن تدوم... لكن أثرها سيكون أطول من عُمرها.

* كاتب تونسي

(الأناضول)

الخطاب
من البلاغة إلى الصدمة

محمد طاهر العصفور*

مصطلح «الصناعة» يستدعي من الذاكرة مصطلحاً آخر في التراث العربي، وهو اصطلاح «الطبع». وقد تقدّم الأستاذ الدكتور شوقي ضيف بأطروحة لنيل درجة الدكتوراه إلى جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة اليوم) في النصف الأوّل من القرن الماضي بعنوان «الصناعة الفنية في الشعر العربي» عالج فيها قضية الطبع والصناعة وأثرها في الشعر. وإذا كان هذا في الأدب، فإن الأستاذ الدكتور كمال بشر أنتج كتاباً، ربما في نهاية القرن الماضي، بعنوان «اللغة بين الطبع والصنع»، وعالج فيه ما هو مطبوع في اللغة وما هو مصنوع.

والحق أن الاصطلاح في جانبيه يحتاج إلى دراسة أخرى وهي صناعة الفهم. فإذا كانت الدراستان الماضيتان قد وضعتا في صناعة النص، فإن الاتجاه الذي أحاول الحديث عنه هو عن صناعة الفهم، وكيف تتم هذه الصناعة، وما هي آفاق الفهم التي يمتد خلالها نظر المتلقي.

وإذا كانت البلاغة العربية، أو البلاغة، قد عُنيت عناية فائقة بحال المتلقي، في رعاية مقامه، وكانت حساسة جداً في فهم رومانسيته، أو في فهم حساسيته المفرطة بغية عدم خدش أحاسيسه على مستوى الذوق أو الرضى، فإنه يمكن القول إن النص في العصر الحديث صار أكثر قوة وجرأة في إفشاء خطاب الصدمة، ولا ينفصل الخطاب الصادم عن شعار الحداثة، المتمثل في كسر «التابو» أو المحظور أو ما عرف في القضاء على سلطة الأب. ويمكننا القول في فهم ما تقدّم من حديث عن أفق من آفاق الخطاب بأنه مهاد ركين من أدوات صناعة الفهم، وربما أقول إن المطابقة لمقتضى الحال، أو، بلاغة المقام، اللتين قام عليهما أس الخطاب قديماً، قد أصبحتا شبه منحسرتين في مستوى الخطاب أو خطاب الحداثة وما بعدها.

وربما شكل خطاب الصدمة الذي مورس في كثير من المستويات الاجتماعية والرسمية، علامة فارقة في تحولات الخطاب ومستوى بيّناً من مستويات صناعة الفهم. وقد وقعت مسؤولية تحرير الخطاب -تجاوزاً في اصطلاح تحرير- على عاتق مؤسسات رسمية ومؤسسات اجتماعية مدعومة دولياً مادياً ومعنوياً، من مؤسسات دولية بعيدة المدى، وفق خطط مدروسة لإفشاء هذه الظواهر اجتماعياً، وصناعة خطاب مغاير من داخل تلك المجتمعات عبر رفع شعارات عديدة منها الديموقراطية المغلفة، ومحاربة الفقر، وعبر نماذج من الشعارات ما كانت تجوز لولا فسحة «الحاجة»، فالحاجة وسد الحاجة هما جواز العبور إلى صناعة فهم آخر يجعل المتلقي لاهثاً وراء خطاب «النفعية» لا خطاب الاندهاش بمدى من الانفعال الراقي.

وإجمال القول، فإن هذا الفهم لا يبحث عن قدرة متفتقة من الخطاب، وتأملات كثيفة منتجة، بل هي صناعة لفهم محدود الاستيعاب أشبه بوجبة سريعة من وجبات «فاست فود» تسد رمق من أضنته ظاهرة الجوع، وصار يبحث عن حاجته ويبتكر الأساليب في سد هذه الحاجة.

والخطاب في زمن السرعة سرعان ما يتعدى إلى خطابات ثم يتشظى وينتثر حتى يصبح عسيراً بل عصياً على التتبع.

وإذا كان الخطاب قديماً يدور في فلك فخامة البناء وجودة السبك ويحاول الابتعاد عن الوحشي والغريب، فخطاب اليوم أقرب إلى المنفعة المباشرة أو التداولية. وحين يكون الخطاب منجزاً يراد التقيد به كانت تجوز لولا فسحة «الحاجة»، فالحاجة وسد الحاجة هما جواز العبور إلى صناعة فهم آخر يجعل المتلقي لاهثاً وراء خطاب «النفعية» لا خطاب الاندهاش بمدى من الانفعال الراقي.

وإجمال القول، فإن هذا الفهم لا يبحث عن قدرة متفتقة من الخطاب، وتأملات كثيفة منتجة، بل هي صناعة لفهم محدود الاستيعاب أشبه بوجبة سريعة من وجبات «فاست فود» تسد رمق من أضنته ظاهرة الجوع، وصار يبحث عن حاجته ويبتكر الأساليب في سد هذه الحاجة.

والخطاب في زمن السرعة سرعان ما يتعدى إلى مؤسسات الدول الرسمية، حيث يحتفظ بمقولة «قل ولا تقل» عبر مفهوم آخر، إذ يسلب هذا الخطاب فهمك ويحل مكان ما تفهم.

فدوّامة الفساد لديه تبدأ من إعطاب فهم الآخر أو الإلحاح على المحاولة حتى النجاح. فمن المقولات التي حاول هذا الخطاب تسويقها، وعبر ما أسمّيه الدلالة التكوينية -على سبيل التمثيل لا الحصر- اصطلاح «معاداة السامية». وبغض النظر عن رضانا على اصطلاح السامية والحامية، فإن الثقافة السامية -تداولاً- هي اصطلاح لغوي أو فنوي لغوي وهي أرومة تضم لغات عديدة، ومن أبرز تلك اللغات الحية فيها اللغة العربية، وأمّا العبرانية كادت تبيد كما بادت اللغات الأخرى، لكن اللغة العربية على نحو عامّ من أقدم اللغات الحية، وعلى نحو خاص تكاد تكون هي اللغة الحية من اللغات السامية.

غير أن هذا الخطاب الموصوف بسمات معينة أقدم ذكرُها، هو خطابٌ مصادر، وعنصري وكاذب ويمارس الكذب حد الصدق، أوهمَ العالم أن السامية هي العبرانية، وكاد يحوّل تلك الحقيقة اللغوية إلى حقيقة عرقية. وإذا كان زعم المؤرخين المحدثين نسبياً بأن السامية هي امتداد لجماعات تنزلت من سام بن نوح -عليه السلام- فتلك أقاويل فيها نظر، وإذا أمنّا بهذه المقولة فإنّ إيماننا بها يقف عند حد أو ينتهي في أنها حقيقة لغوية لا عرقية، وأن هذا العداء المزعوم هي ظاهرة مصطنعة عبر دلالة تكوينية لا تكوينية.

وإذا استطاع الخطاب العالمي -وأقول الخطاب العالمي تجاوزاً- أن يحرف مسار الفهم تجاه أشياء ومارس إفهام العالم من خلال مسكوكات دلالية معينة، وإقناع جماعات من الناس بالترهيب والترغيب بمنجزات لغوية محددة في أن هناك عداء إلى السامية، فإنه لم يتورّع في عد من يدفع الظلم عن وطنه ويقاوم الاحتلال بأنه مخرب، واستطاع إعلام آخر أن يحرف الفهم في عد أولئك الذين يقطرون مواطنة صافية، ويحملون أرواحهم على أكفهم بأنهم أدوات دول أخرى.

وعلى مستوى آخر، مارس الخطاب الذي طلا علينا وعلى العالم مفهوم الشرعية الدولية، ومفاهيم تكوينية أخرى كمفهوم اللجوء الاجتماعي، الذي يتيحه إلى الأشخاص المخالفين للفطرة الإنسانية، وثمّة طائفة من المسكوكات التكوينية يطول ذكرها ويضيق هنا حصرها تمارس من قبل تلك القوى التي تختطف إفهام المتلقي وتستلبه وتحيل مداركه إلى أوهام.

ولذلك سيكون هذا الخطاب منجزاً لأنه يمتلك فاعليات تجعل ما يريد سارية المفعول بواسطة ما يمتلك من سلطات تقلب الحقائق عبر لغة ناعمة تلج إلى مساحات واسعة من المجتمعات.

* عالم لغوي بحريني

فلسطين

على رغم استمرار الانتهاكات الإسرائيلية في الضفة الغربية والقدس المحتلّتَين، يُواصل الوسطاء مساعيهم لدى المقاومة في غزة من أجل الامتناع عن الدخول على خطّ الاشتباك، والحفاظ على الهدوء في القطاع. لكن بحسب معلومات "الأخبار"، فإن "حماس" أكّدت لجميع المعنيين أنه لا إمكانية لإرساء الهدوء طالما استمرّت سياسة التنكيل الفاشيّة بحقّ المستوطنين، محذّرةً من أن المواجهة الكبرى مع الاحتلال باتت أقرب، ومُهدّدةً بأن "اللعب مع غزة سيكون ثمنه أكبر ممّا يتخيّله نتنياهو"

المقاومة تتحسّس مغامرة إسرائيلية
«حماس» لنتنياهو: حذارِ «اللعب» مع غزة

عدوان متجدّد على جنين: فدائيّ حوّارة يختم ملحمته

نفّذت قوّات مشتركة من جيش الاحتلال وجهاز «الشاباك» الإسرائيلي، تتقدّمها وحدة «اليمام» الخاصة، عصر أمس، عدواناً عسكرياً على مخيم جنين في الضفة الغربية المحتلّة، استهدف اغتيال منفّذ عملية حوّارة، الذي تحصّن في منزل داخل المخيم، مع مجموعة من المقاومين. واقتحم جنود العدو المنطقة بعشرات الآليات المدرّعة، وحاصروا المنزل المستهدَف، قبل أن تشتعل اشتباكات بينهم وبين المحاصَرين من جهة، وبينهم وبين مقاومين آخرين تداعوا إلى المكان لإسناد المجموعة المستهدَفة من جهة أخرى. وقُصف البيت الذي آوى المقاومين بعدّة صواريخ مضادّة للدروع، فيما استمرّت الاشتباكات العنيفة لنحو ساعتين، قبل أن تنسحب القوّة الإسرائيلية إلى خارج المخيم، وينجلي غبار اعتدائها عن استشهاد 6 فلسطينيين، على رأسهم عبد الفتاح حسين خروشة (49 سنة)، من مخيم عسكر في نابلس، وهو منفّذ عملية حوّارة التي قُتل فيها مستوطنان. في المقابل، اعترف العدو بإصابة 3 من جنود وحدة «اليمام» خلال الاشتباكات في جنين، جرى نقْل اثنين منهم عبر مروحيّة عسكرية. كما تمكّن المقاومون من إسقاط حوّامتَين مسيّرتَين كانتا تحلّقان فوق المخيم، لرصد حركتهم ومساندة جنود الاحتلال. وفي أعقاب العدوان الجديد، سادت أجواء من التوتّر والترقّب؛ وبينما رفعت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية جاهزيتها في الضفة والقدس، أشعل مجموعة من شبان قطاع غزة الإطارات على الحدود، وسط توقّعات بأن يكون هنالك ردّ من المقاومة في القطاع على العملية الإسرائيلية.

(الأخبار)

أبلغت «حماس»، المعنيين، أنها «تراقب وتتابع كلّ ما يجري في القدس المحتلّة» (أ ف ب)

غزة ـ رجب المدهون

على الرغم من عودة وفد حركة "حماس" إلى قطاع غزة الأسبوع الماضي بعد إجرائه مباحثات مع المسؤولين المصريين، لا تزال الاتّصالات مستمرّة بين الطرفَين، وسط تأكيد الحركة أن المواجهة الكبيرة مع الاحتلال باتت أقرب، في ظلّ السياسة التي تنتهجها حكومة بنيامين نتنياهو الفاشية تجاه مختلف الملفّات في الأراضي الفلسطينية. وبحسب مصادر "حمساوية" تحدّثت إلى "الأخبار"، فإن الحركة جدّدت تنبيهها الوسطاء إلى أنها "لن تقف مكتوفة الأيدي في حال تجاوُز العدو الخطوط الحمراء"، محذّرة من أن الأوضاع في القطاع لن تدخل حالة من الهدوء طالما واصل الاحتلال جرائمه في الضفة والقدس المحتلّتَين.

وأبلغت "حماس"، المعنيّين، أنها "تُراقب وتُتابع كلّ ما يجري في القدس المحتلّة، ومحاولات الاحتلال تقسيم المسجد الأقصى، وعمليات الإبعاد عنه، واستهداف المصلّين القادمين من الضفة، ومخطّطات التهويد وهدْم منازل المقدسيين"، جازمةً أنها "لن تَسكت على هذه الاعتداءات"، ولوّحت بأن استمرار الانتهاكات "قد يؤدّي إلى تفجّر مواجهة عسكرية جديدة". ونبّهت الحركة، أيضاً، إلى أن ملفّ الأسرى قد يكون عنواناً لمواجهة عسكرية جديدة، في ظلّ توجيهات الوزير المتطرّف، إيتمار بن غفير، بالتضييق عليهم، وطرْح قانون لإعدامهم، مُهدِّدةً بأن "هذا الملفّ وحده كفيل بتفجير الساحة الفلسطينية، وإدخال قطاع غزة في المعركة".

وأكدت "حماس" أن "المقاومة جاهزة لخوض معركة ضدّ الاحتلال خلال الفترة المقبلة"، ملوّحة بأن "ذراعها العسكرية، "كتائب القسام"، وبقيّة العمليات المشتركة"، "ستستخدم أدوات أكبر وأكثر تأثيراً من تلك التي استخدمتْها خلال معركة سيف القدس عام 2021". كذلك، لفتت الحركة إلى أنها "تُراقب التطوّرات التي تشهدها الساحة الداخلية لدى العدو"، محذّرةً من "سيناريو قد يذهب إليه بنيامين نتنياهو للهروب من الضغط الداخلي، متمثّل في شنّ حرب على غزة"، مُهدِّدةً بأن "اللعب مع القطاع سيكون ثمنه أكبر ممّا يتخيّله نتنياهو". وانتقدت "حماس" مطالبات الوسطاء المتكرّرة بالحفاظ على الهدوء في غزة، بينما يرتكب الاحتلال جرائم بحقّ الشعب الفلسطيني، ويسعى لفرض وقائع جديدة على الأرض في الضفة والقدس، بما لا يستثني المسجد الأقصى.

> أكّدت «حماس» أنها «لن تسكت على ما يجري في الحرم القدسي من انتهاكات»

وفي هذا الإطار، أكّدت الحركة أنها "لن تَسكت على ما يجري في الحرم القدسي من انتهاكات"، فيما دعا الناطق باسمها في مدينة القدس، محمد حمادة، إلى "مواصلة الحشد والرباط في الأقصى لصدّ عدوان الاحتلال ومُستوطنيه". وجاء ذلك بعد وقت قصير من اقتحام مجموعات كبيرة من المستوطنين المسجد، في أوّل أيّام "عيد المَساخر" اليهودي، تحت حماية قوات الاحتلال التي شدّدت من تدابيرها الأمنية في ساحات الحرم وعلى أبوابه، وأيضاً عند أبواب البلدة القديمة، للحيلولة دون وصول أعداد كبيرة من المقدسيين تلبيةً لدعوة خراكات شبابية إلى التصدّي لتلك الاقتحامات. وتَقدّم المجموعات المقتحمة الحاخام المتطرّف، يهودا غليك، ورؤساء جمعيات استيطانية، وعدد كبير من مسؤولي الوزارات المختلفة الذين ارتدى العديد منهم لباس الكهنة، فيما أقام بعض المستوطنين حلقات رقص وغناء عند أبواب الأقصى، وخاصة باب السلسلة، لدى مغادرتهم باحاته.

في هذا الوقت، وصل إلى قطاع غزة السفير القطري، محمد العمادي، قادماً من دولة الاحتلال حيث أجرى مباحثات مع مستشار "الأمن القومي" الإسرائيلي، تساحي هنيغبي، تناولت الوضع في القطاع، ومطالبات "حماس" بزيادة عدد المستفيدين من المنحة القطرية. والتقى العمادي، أمس، قيادة الحركة في غزة، ناقلاً إليها رسائل إسرائيلية مفادها الطلب إليها الحفاظ على الهدوء خلال الفترة المقبلة مقابل إبقاء "التحسينات" الاقتصادية الممنوحة للغزّيين. لكنّ "حماس" ردّت، بحسب معلومات "الأخبار"، بأن "الوعود بتسهيلات جديدة للقطاع لن تضمن الهدوء في حال تجاوُز الاحتلال الخطوط الحمراء".

«فقاعة» الوساطة المصرية: هكذا تريد واشنطن

كشفت مصادر مطّلعة، لـ«الأخبار»، أن زيارة وفدَي «حماس» و«الجهاد الإسلامي» إلى القاهرة، الشهر الماضي، «لم تحمل جديداً يُذكر». إذ صارح المصريون ضيوفهم بأن «الأميركيين طلبوا منهم دعوة الفصائل، وممارسة الضغط عليها لتقطيع شهر رمضان بهدوء». كما أوضحوا أنهم «معنيّون بشكل أساسي بقطاع غزة»، مشدّدين على أن «ما يحصل في الضفة والقدس، الأفضل أن يبقى هناك، معزولاً عن القطاع». وأضافت المصادر أن «المصريين لم يقدّموا أيّ عرض أو مسودّة اتفاق، بل مجرّد طلب للتهدئة، ومن دون أيّ ضمانات من جهة العدو». وفي المقابل، أكّد وفدا الحركتَين، كلّ بطريقته، أن «لا التزام بأيّ تهدئة مزعومة»، وحذّرا من أن «شهر رمضان مرشّح لأن يكون فترة ساخنة، وقد نكون أمام تصعيد كبير». وخلصت المصادر إلى أن «الدعوة المصرية كانت شكلية أكثر منها عملية، وهي استجابة للأميركيين، ليس إلا».

(الأخبار)

سوريا

العدوّ يزداد توحّشاً: ممنوعٌ إغاثة حلب!

بينما ترزح حلب تحت أكوام من الأنقاض، بدءاً من آثار الحرب التي لا تزال المدينة تحاول نفْض غبارها عنها، وصولاً إلى الزلزال المدمّر وما خلّفه من كوارث إنسانية جديدة، وفي الوقت نفسه، شوهدت في سماء المدينة صواريخ المضادّات الجوّية، كما شوهدت النيران التي اندلعت في المطار الواقع شرقيّ حلب، من مسافات بعيدة نسبياً.

العدوان الذي وصفتْه الخارجية السورية، في بيانها، بأنه «يعكس من جديد أبشع صور الهمجية واللاإنسانية للكيان الإسرائيلي، وممارسته لأشدّ وأفظع الانتهاكات للقانون الدولي، بما في ذلك القانون الإنساني الدولي»، جاء ليُقطّع الطريق على وصول طائرات المساعدات الإغاثية إلى المدينة المنكوبة، وكان مطار حلب قد استقبل، وفق المؤسّسة العامّة للطيران المدني، 79 طائرة منذ وقوع الزلزال، كجزء من حمولات المساعدات الواردة إلى المدينة التي تسبّبت الكارثة الطبيعية بتشريد الآلاف من سكّانها. وحذّرت الوزارة صداها إلى ريف إدلب، بحالة ذعر في المدينة التي لا يزال سكّانها يعيشون حالة قلق مستمرّة جرّاء الزلزال المدمّر وما تَبعه من هزّات قوية - لا يزال بعضها مستمرّاً -، دفعت مئات الآلاف إلى الخروج من منازلهم والمبيت في الأرياف خوفاً من هزّات مدمّرة جديدة. وفي الوقت نفسه، شوهدت في سماء المدينة صواريخ المضادّات الجوّية، كما شوهدت النيران التي اندلعت في المطار الواقع شرقيّ حلب، من مسافات بعيدة نسبياً.

العدوان الذي وصفتْه الخارجية السورية، في بيانها، بأنه «يعكس من جديد أبشع صور الهمجية واللاإنسانية للكيان الإسرائيلي، وممارسته لأشدّ وأفظع الانتهاكات للقانون الدولي، بما في ذلك القانون الإنساني الدولي»، جاء ليُقطع الطريق على وصول طائرات المساعدات الإغاثية إلى المدينة المنكوبة، وكان مطار حلب قد استقبل، وفق المؤسّسة العامّة للطيران المدني، 79 طائرة منذ وقوع الزلزال، كجزء من حمولات المساعدات الواردة إلى المدينة التي تسبّبت الكارثة الطبيعية بتشريد الآلاف من سكّانها. وحذّرت الوزارة من أن «الكيان الإسرائيلي من مغبّة الاستمرار في ارتكاب هذه الجرائم»، ودعت «المجتمع الدولي إلى إدانتها والعمل على وضع حدّ لها، وخاصّة أنها تُنذر بالمزيد من التهديدات والأخطار للأمن والسلم في المنطقة والعالم»، معتبرة أن «العدوان الإجرامي (...) يُعدّ جريمة مزدوجة كونه من جهة استهدف مطاراً مدنياً، ومن جهة أخرى إحدى القنوات الأساسية لوصول المساعدات الإنسانية من داخل سوريا وخارجها إلى ضحايا الزلزال». ومن جرّاء هذا الاستهداف، أعلنت وزارة النقل تحويل هبوط طائرات المساعدات الإغاثية الإنسانية، والتي كانت مبرمجة رحلاتها عبر مطار حلب الدولي، إلى مطاري دمشق واللاذقية، علماً أن سوريا استقبلت، منذ وقوع الكارثة حتى مساء أوّل من أمس الاثنين، 283 طائرة معوّنات توزّعت على ثلاثة مطارات (دمشق: 107 طائرات، حلب: 79 طائرة، واللاذقية: 97 طائرة).

> قطع العدوان الإسرائيلي الجديد على حلب الطريق على طائرات المساعدات الإغاثية إلى المدينة المنكوبة

وبعدما كانت وسائل إعلام سورية معارضة، وبعض وسائل الإعلام العربية، تُسارع إلى تبرير الاعتداءات السابقة، بذريعة أن سببها إيران، لم تجد هذه المرّة تبريراً مناسباً للجريمة، وخصوصاً أن العدوان استهدف مدرّجات المطار، ما يعني أن إسرائيل أرادت تعطيل المرفق ومنْع هبوط طائرات فيه. وفي هذا الإطار، عمد «المرصد السوري لحقوق الإنسان» المُعارض، والذي كان سبّاقاً خلال الاعتداءات السابقة في تسويغ العدوان واعتباره جزءاً من «حرب إسرائيلية - إيرانية على الأرض السورية»، وفق تعبيره، إلى إدانة الاستهداف الأخير بشكل غير مباشر، عن طريق التأكيد أن مطار حلب كان «خليّة نحل لنقل المساعدات العربية للشعب السوري»، زاعماً أن «إيران تستخدم محيط المطار» وليس مدرّجاته حتى يتمّ إخراجها عن الخدمة.

وسبقت العدوانَ حملةُ إعلامية مركّزة استهدفت النشاط الإغاثي الإيراني والعراقي (الحشد الشعبي) لمدينة حلب، بعدما أنشأ العراق جسراً جوّياً وبرّياً لمساعدة المدينة، وبدأ مشاريع إغاثية عدّة، من بينها بناء مساكن مؤقّتة، إلى جانب الحملة التي تنفّذها الإمارات، متصدّرةً من خلالها قائمة الدول التي أرسلت ولا تزال ترسل مساعدات إلى سوريا، وهو ما سيؤدّي القصف الإسرائيلي إلى إعاقته الآن. ودانت إيران الهجوم، واعتبرته «مثالاً واضحاً على الجريمة بحق الإنسانية»، مشيرة، على لسان الناطق باسم الخارجية ناصر كنعاني، إلى أن «بعض الدول الغربية ومنظّمات حقوق الإنسان تلتزم الصمت حيال استمرار الهجمات الوحشية والإنسانية للكيان الصهيوني المجرم على سوريا، وهذا الصمت مثال على تشجيع الكيان المذكور كمعتدٍ ومنتهك لحقوق الإنسان والقوانين والأنظمة الدولية».

ويُعدّ هذا العدوان الثاني من نوعه على مطار حلب الدولي خلال أقلّ من ستة أشهر، بعدما تسبّب الأوّل الذي وقع نهاية شهر آب من العام الماضي بخروج المطار عن الخدمة لأربعة أيام بسبب تعرّض مدرّجاته لأضرار بالغة. كذلك، يعدّ الهجوم الثاني أيضاً بعد وقوع الزلزال، حيث استهدفت إسرائيل أوّلاً بناءً سكنياً في حيّ كفرسوسة في دمشق في التاسع عشر من شهر شباط الماضي، ما أدّى إلى مقتل 5 أشخاص وإصابة 15 آخرين. وسيكون من شأن الضربة الأخيرة أن تُعمّق من معاناة حلب، التي اعتبرها تقرير أصدره "البنك الدولي" قبل أيام، «أشدّ المحافظات تضرّراً، إذ سُجّلت فيها 45% من مجمل الأضرار التقديرية (2,3 مليار دولار)»، بينما قدّر، بشكل مبدئي، حجم الخسائر الاقتصادية في أربع محافظات سورية ضربها الزلزال (حلب وحماة وإدلب واللاذقية) بنحو 5,1 مليار دولار.

استهدفت الطائرات الإسرائيلية، مطار حلب الدولي، بِرشقة صواريخ أطلقتها من قبالة قبرص (أ ف ب)

عن باسل ووارثيه: الجميع وجدوا أجوبتهم

يوسف فارس

على رغم الفارق في مستوى خطاب الثورة الذي قدّمه باسل الأعرج، وما يتركه شهداء الضفة الغربية المحتلّة من وصايا وأقوال أخذت صفة أدب الثورة ووصاياها، فإنه من السهل وضْع اليد على نقاط الالتقاء، بين الأطروحات العميقة المركّزة للباسل، والأدبيات الشديدة البساطة والعظيمة الدلالة في آن، لعشرات الشهداء الذين ارتقوا خلال 20 شهراً مرّت على استشهاد مؤسّس "كتيبة جنين" جميل العموري، وصولاً حتى حسام سليم ومحمد أبو بكر الجنيدي في نهاية الشهر الماضي.

الأعرج (استُشهد في 6 - 3 - 2017)، الذي اختار حياة استمرّ فيها في "دقّ جدران الخزّان" حتى النَّفَس الأخير، محذّراً من خطورة التقاعس والتصالح حتى النفسي مع وجوه المحتلّين، استقى مضمون تنظيره الفدائي من تجارب حركات التحرّر العالمية، وآداب حُقب ما قبل الثورات وما بَعدها، معبّئاً نفسه بمسيرة حياة أجداده المقاتلين ما قبل النكبة، وغائصاً في إرث مُفكّري الثورات ومُعذَّبيها، وصولاً إلى رحيله المُلحمي الذي خرق به "جدران الخزّان". ابن بلدة الولجة، تَحضر روحه في أدبيّات العشرات من الشهداء الذين قضوا على مدار 20 شهراً، والذي أعادوا ترجمة فكره النخبوي بمضامين بسيطة.

يَنقل رفاق الشهيد عبدالله الحصري - أحد قادة "كتيبة جنين" - عنه قولَه في شأن اندفاعه الدائم في التصدّي لاقتحامات المخيّم: "بقدرش أشوف الجيش الإسرائيلي وما اطخّش"، وهو بالضبط ما كان يريد أن يزرعه باسل: "لا تتاقلموا مع وجوه جنود الاحتلال"، وما أوصى به أيضاً إبراهيم النابلسي: "بدي الناس تصحى، لا تتركوا البارودة". إنّها باختصار، فكرة "استمرارية جدوى المقاومة". يقرأ الأعرج الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي وفق تقسيمات "علي شريعتي وفرانز فانون لهذا العالم"، ويقرأه المقاومون الجدد وفقاً لخلاصة ما فهمه باسل. وفي النتيجة، الجميع يُقتلون في سبيل ما آمنوا به.

لدى سؤال "الأخبار" واحداً من الناشطين في "عرين الأسود"، ما إنْ كان يعرف شريعتي وفانون ومكسيم غوركي والحر الرياحي ومحمد الزرقطوني، يجيب بأنه سمع ببعضهم ولم يقرأ لهم يوماً. نسأله أيضاً:

- هل تعرف باسل الأعرج؟
- بل أفدي نهجه بدمي.
- ما الذي تعرفه عنه؟

> يَحضر باسل، الذي جمع فيضاً هائلاً من مناقضات الإيديولوجيا، في شخوص أيقونات المرحلة

- أكثر مَمّا تعرفه أنت بكثير، أنا أحمل البندقية، وسأموت وهي في يدي، أنا وجدت أجوبتي، ومثلي المئات في نابلس وجنين وطولكم وأريحا وبلاطة وجبع وقباطية والخليل.

يَحضر باسل، الذي جمع فيضاً هائلاً من متناقضات الإيديولوجيا ما بين الاشتراكية والقومية العروبية والتديّن الصوفي، وسكبها في قالب "الثوريّ الجديد"، في شخوص أيقونات المرحلة، الذين أضافوا إلى هذا الخليط العجائبي، مزيجاً مثيراً من شخصية الشابّ المحبّ للحياة، المتتبّع لآخر صيحات الموضة في المظهر واللباس، وشخصية الفدائي، المتديّن فطرياً، والذي يشعر في كلّ لحظات حياته أنه قريب من لقاء ربّه. وديع الحوح، محمد العزيزي، تامر كيلاني، حسين قراقع، إبراهيم النابلسي، فاروق سلامة وغيرهم، يجمعهم ذلك الخيط الدقيق، شأنهم شأن بقيّة الأبطال الحاليين.

في رواية "رجال في الشمس"، انتَحر غسان كنفاني ثلاثة نماذج مجتمعية لتُعبّر عن اتّجاهات وهواجس أولئك الذين وجدوا في الهجرة الخلاص الفردي والذاتي الأمثل من فقر المخيّمات واللجوء، فنماذج لو أردنا إسقاطها على آخر عشرين شهراً من عمر الصراع، لوجدنا أن المسنّ "أبو قيس" غدا في يومنا، الفدائيَّين ماهر تركمان وفتحي خازم. أمّا الشاب "أسعد"، فما أكثر الذين تمرّدوا على خياره اليوم، واختاروا الخلاص الجماعي لشعبهم، وهم يوصون في ما قبل الرحيل الأبدي بأن "لا تتركوا البارودة". يَحضر أيضاً الفتى "مروان"، وقد كسر الشهيد الفتى أمجد الفايد (17 عاماً) صورة طُموحه المُراهق، وانخرط في أنشطة المقاومة، إلى الحدّ الذي جعل العدو يستدعي قوّة مؤلّلة لاغتياله.

قبل ستّ سنوات، اغتيل باسل الأعرج، بعد أن أدّى قسطه للبلاد كاملاً. بحث ونظر ودرس وكتب، اعتُقل وحمل السلاح وطُورد، ثمّ استشهد في غضون الأعوام الأكثر جدباً في مسيرة الصراع. واليوم، غدت صورته ومقولاته زينة استعراض لأنصاف الثائرين، أمّا بندقيته ودماؤه فللذين لم يبحثوا عن "تعويض صفيق وتافه لغياب السلاح".

قبل ستّ سنوات، اغتيل باسل الأعرج، بعدما أدّى قسطه للبلاد كاملاً (أ ف ب)

الحدث لن يكون، بعد الآن، التنبّؤ باسم رئيس تركيا المقبل، سهلاً. فتسمية كمال كيليتشدار اوغلو، رسميّاً، مرشّحاً للمعارضة، في مواجهة الرئيس رجب طيب إردوغان، معطوفةً على «عودة اللُّحمة» إلى صفوف «طاولة الستّة»، مع تراجُع زعيمة «الحزب الجيّد»، ميرال أكشينير، عن قرارها الانسحاب من التحالف، تعني أن الأمور عادت إلى نصابها. غير أن المستجدّ المتمثّل في ترحيب «حزب الشعوب الديموقراطي» الكردي، والذي من شأن أصوات قاعدته (10٪) أن تغيّر المعادلة الرئاسية، بمرشّح المعارضة، وعدم حشمه بعد قرار تسمية مرشّح مستقلّ، قد يعبّد طريق «كمال بكّ» إلى القصر الرئاسي

«كمال بكّ» في مواجهة إردوغان
«ها نحن نبدأ»

محمد نور الدين

أخيراً، خرج الدخان الأبيض من اجتماع «طاولة الستّة» بعد تسمية مرشّحها الرئاسي، زعيم «حزب الشعب الجمهوري»، كمال كيليتشدار أوغلو، الذي سيواجه رئيس الجمهورية الحالي، زعيم «حزب العدالة والتنمية» رجب طيب إردوغان، في استحقاق الـ14 من أيّار الرئاسي. وجاءت الإشارة الأولى إلى ذلك، على لسان نائب رئيس «الحزب الجيّد»، بهادير إرديم، الذي غرّد ولم يكن اجتماع «الستّة» قد انتهى: «الأمّة انتصرت».

خرج اجتماع مساء أوّل من أمس، بوثيقة مؤلّفة من 12 بنداً، جاء فيها أن تركيا «ستّدار بالتوافق من خلال نظام برلماني قويّ، عندما يكتمل، سيصبح النظام الرئاسي من التاريخ». وسيكون رؤساء الأحزاب نوّاباً لرئيس الجمهورية، على أن يُجري توزيع الوزارات تبعاً لحجم كلّ حزب. ووفق المادة الثانية عشرة والأخيرة، سيعيّن رئيس الجمهورية رئيسَي بلديتَي أنقرة وإسطنبول نائبَين له، في «الزمن الذي يراه مناسباً، ووفقاً لتوصيفات يتمّ تحديدها». على أن المادّة الأخيرة كانت بيت القصيد في «حفلة الجنون» التي شهدتها جبهة المعارضة خلال الأيام الثلاثة التي استبقت ترشيح كيليتشدار أوغلو رسمياً؛ ذلك أن الصيغة التي عرضتها رئيسة «الحزب الجيّد»، ميرال أكشينير، للعودة إلى «طاولة الستّة»، بعدما انسحبت منها يوم الجمعة الفائت، لم تَرِد في البيان الختامي، لأسباب لم تكن قانونية. وتحوّل رئيسا بلدية إسطنبول، أكرم إمام أوغلو، وأنقرة، منصور يواش، من أداة لتبرير أكشينير رفْضها ترشيح كيليتشدار أوغلو لرئاسة الجمهورية، إلى أداة للتبرير عودتها إلى «الطاولة»، إذ بعد اتّصالات مكثّفة وإدراك لخطورة انقسام المعارضة، اقترحت أكشينير أن يُعيَّن رئيسا البلديتَين «نائبَين لرئيس الجمهورية» في حال فوز مرشّح المعارضة، وهو ما وافقت عليه الأحزاب الأخرى المنضوية في إطارها. وعلى هذا الأساس، أخّرت «طاولة الخمسة» اجتماعها الذي كان مقرّراً الإثنين في تمام الساعة الثانية بعد الظهر بتوقيت تركيا، إلى الخامسة، لينعقد بمشاركة أكشينير.

لكن السؤال الذي يمكن طرحه الآن: لماذا عارضت أكشينير ترشيح كيليتشدار أوغلو، ثمّ عادت عن اعتراضها بعد ثلاثة أيّام هزّت المعارضة؟

الجواب الأوّل الذي يتبادر إلى الذهن، وفق أغلب كتّاب المعارضة، أن أكشينير لا تريد مرشّحاً علوياً، أو واحداً يؤيّده الأكراد. ولا يعدو طرحها فكرة تعيين إمام أوغلو وياواش نائبَين للرئيس، كونه مخرجاً للعودة إلى «الطاولة» على قاعدة أنها كانت تريد أصلاً ترشيحهما للرئاسة، لكنها باقتراحها مسألة نيابة الرئاسة تجعل الرئاسة أقرب إلى «شراكة»

قد يحظى كيليتشدار أوغلو بتأييد القوميين واليساريين والأتراك وكذلك الأكراد (أ ف ب)

> تركيا «ستُدار بالتوافق من خلال نظام برلماني قوي، عندما يكتمل، سيصبح النظام الرئاسي من التاريخ»

بين قومي (ياواش) وغير علوي (إمام أوغلو). ولعلّ العامل الأهمّ في تراجع أكشينير عن قرارها الانسحاب من «الطاولة»، ردود الفعل الساخطة عليها واتّهامها بالخيانة والغدر، إذ إن العديد من مسؤولي حزبها تَقدّموا باستقالاتهم، وبعضهم أعلن أنه في حال صمد كيليتشدار أوغلو للدورة الثانية، فسيصوّت له. وهكذا، لم تخاطر أكشينير بتثبيت صورة الزعيمة الناكثة بوعودها، وغير الموثوق بها، أو باحتمال تعريض حزبها أو ما يمكن أن يكون قد تبقّى منه، إلى هزيمة تاريخية أخر في الوقت نفسه. وبحسب أيهان أوغان، مستشار رئيس الجمهورية، فإنه «لا يوجد في الدستور منصب نائب رئيس جمهورية يمكن الترشّح إليه، وهو الأمر الذي توقّفت عنده المعارضة في مشاوراتها، إذ تدرك خطورة ذلك على إسماكها ببلديتي إسطنبول وأنقرة المهمّتين جدّاً»؛ ذلك أن ترشيح رئيسَي البلديتين وافتراض استقالتهما من موقعيهما الحاليَّين في حال فوز كيليتشدار أوغلو، يعني تضحية المعارضة برئاسة أهمّ بلديتَين في تركيا، بالنظر إلى أن غالبية أعضاء المجلس البلدي بيد تحالف السلطة الحاكمة، وسيختارون للرئاسة شخصيّتَين تابعتَين للسلطة.

وعلى أيّ حال، ومع عودة الوحدة إلى «طاولة الستّة»، لن تخسر المعارضة أصوات «الحزب الجيّد» المقدّرة بـ12% إلى 15%. وقد يحظى كيليتشدار أوغلو بتأييد القوميّين واليساريين والأتراك وكذلك الأكراد (وإنْ في الدورة الثانية)، حيث أبدى رئيس «حزب الشعوب الديموقراطي»، مدحت سنجار، تفاؤله بترشيح زعيم «الشعب الجمهوري»، قائلاً إن «الشعب يحتاج إلى تغيير قويّ». وأضاف أن تسمية حزبه من عدمها لمرشّح مستقلّ، ستخضع للدرس في الأيّام القليلة المقبلة. كذلك، رحّب صلاح الدين دميرطاش، الرئيس السابق للحزب الكردي المعتقل منذ سنوات في أدرنه، بترشيح كيليتشدار أوغلو، قائلاً: «إنهم ينتخرونك في مقرّ حزب الشعوب الديموقراطي». وهكذا، مع عودة الوحدة إلى صفوف المعارضة، وفي حال حشم الأكراد مسألة التصويت لكيليتشدار أوغلو، تصبح حظوظ الأخير في الفوز بالرئاسة عالية.

وقد حظي اجتماع «الستّة» الذي انعقد، كما الاجتماع السابق، في مقرّ «حزب السعادة»، بمواكبة إعلامية هائلة وحشد شعبي كبير تجمهر خارج مقرّ الاجتماع، حيث أطلقت شعارات من مثل: «موحّدين سنكسب»، «أمل الشعب كيليتشدار أوغلو» و«أمام الحشد الشعبي، تحدّث المرشّح الرئاسي، وإلى جانبه أكشينير ورؤساء الأحزاب الآخرون، قائلاً: «ها نحن نبدأ. إنها بداية التغيير الشامل، وسنعيد للشعب ما سُرق منه، وسنريح متّحدين». وأضاف: «أنا مرشّح التحالف لإدارة البلد بالعقل والفضيلة. أنا لست فقط مرشّحاً لرئاسة الجمهورية، أنا مرشّح البركة والعطاء والعدالة والرفاهية. لست أنا فقط المرشّح، هناك 85 مليون مرشّح. إنّنا نبدأ أيها الشعب العزيز. إنّنا نبدأ».

مَن هو كمال كيليتشدار أوغلو؟

وُلد كمال كيليتشدار أوغلو عام 1948 في قرية باليجه في قضاء نظمية في محافظة ديرسيم (الآن تونجيلي)، وهي محافظة يغلب عليها الوجود العلوي والكردي، وتعرّضت لاضطهاد عنيف من جانب النظام الأتاتوركي في منتصف الثلاثينيات. وهو متزوّج وله ثلاثة أولاد، وتخرّج من أكاديميّة العلوم الاقتصادية والتجارية في أنقرة. تنقّل في الوظيفة العامّة بين وزارتَي المالية والعمل، وفي عام 2003، انتُخب نائباً عن «حزب الشعب الجمهوري» عن إسطنبول. وللمفارقة، ترشّح، عام 2009، لرئاسة بلدية إسطنبول ضدّ مرشّح «العدالة والتنمية»، قادر طوباش، ونال 37% من الأصوات مقابل 45% للأخير. وبعد استقالة دينيز بايكال من رئاسة «الشعب الجمهوري»، عام 2010، على خلفيّة فضيحة جنسية، انتُخب كيليتشدار أوغلو الرئيس السابع للحزب، ومن ثمّ أُعيد انتخابه بعد أربع سنوات. ويُعرف عنه وصفه بـ«غاندي» و«القوّة الناعمة» و«كمال بك (السيد كمال)». وهي المرّة الأولى التي يكون كيليتشدار أوغلو فيها مرشّحاً للرئاسة، إذ سمّى لانتخابات عام 2014، أكمل الدين إحسان أوغلو، ولدورة 2018، محرّم إينجه. ومن أشهر المحطّات في مسيرته السياسية: «مسيرة العدالة» التي قادها سيراً على الأقدام من أنقرة إلى إسطنبول، من 15 حزيران إلى 9 تموز 2017.

قضية

«الانتقال» السوداني يحتضر الأولوية لمصالح الخارج

محمد عبد الكريم أحمد

تسارعت الأحداث في السودان على إثر تصريحات أدلى بها نائب رئيس "مجلس السيادة"، محمد حمدان دقلو (حميدتي) في شباط الفائت، وصف فيها "انقلاب تشرين الأوّل 2021 بأنه "كان خطأ"، قبل أن يعود، مطلع الشهر الجاري، إلى تأكيد دعمه لـ"الاتفاق الإطاري" (الذي يهندسه فعلياً "مجلس السيادة" بقيادة رئيسه، عبد الفتاح البرهان)، ودعوة قادة الجيش إلى "تسليم السلطة للمدنيين"، وهي الدعوة التي كرّرها أيضاً شقيقه ونائب قائد قوّات "الدعم السريع"، عبد الرحيم دقلو. وبغضّ النظر عن مدى جدّية خطاب حميدتي وشقيقه، فإن زيارة الأوّل للإمارات، والحديث المتزايد عن ضرورة دمْج "الدعم السريع" بالجيش النظامي، وحادث مقتل متظاهر سوداني قبل أسبوع (أنذر بتجدّد موجة عنيفة من التظاهرات، وأثاره فولكر تورك، مفوّض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان، في اجتماع في جنيف في الـ3 من الجاري)، وما تردّد أخيراً عن مقابلة سرّية بين البرهان ورئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، قبل أسابيع، في الوقت الذي خضر فيه السودان (لا سيّما وضعه الأمني) بقوّة على أجندة لقاء رئيس هيئة الأركان المشتركة الأميركية، مارك ميلي، وأعضاء الوفد رفيع المستوى المُرافِق له نظراءهم في إسرائيل (الـ3 من آذار)... كلّها تطوّرات تنبئ، إلى جانب تراجُع تأثير "الاتفاق الإطاري" في حدوده الدنيا، بوجود عملية ظلّ حاكمة لمجمل مسار المرحلة الانتقالية في هذا البلد، على نحو يجعل من تكوين حكومة مدنية مسألة هامشية لن يمثّل حلّها إضافة جادّة تُذكر إلى هذه المرحلة.

«الاتفاق الإطاري» ما بعد «الورش»

كشفت الـورش المتعاقبة التي حضرها ممثّلون للقوى الداعمة لـ"الاتفاق الإطاري"، وتلك الممانعة تكتيكياً له، عن مستوى بالغ السطحية في مقاربة مشكلات المرحلة الانتقالية في السودان، من قبيل طبيعة التحوّل الديموقراطي المرتقَب، وحماية الدولة السودانية من مزيد من الانهيار السياسي والاقتصادي، وتحقيق إجماع وطني ضروري لم يُعَد رفاهية. إذ ركّز المشاركون على مبدأ المحاصصات المنتظَرة في حال تشكيل حكومة، وأعادوا اجترار مناقشات حول طبيعة العلاقات العسكرية - المدنية، كما أثاروا فكرة غير واقعية حول تضمين الدستور السوداني (الذي لم يُتّفق بعد على آليات واضحة لوضعه) مبدأ علمانية الدولة، بينما تُواصل القيادة العسكرية تبنّي مقاربة مغايرة تماماً لـ"الإطاري"، بالتنسيق مع أطراف إقليمية ودولية.

وعلى سبيل المثال، كشف "إعلان سياسي" مشترك بين "الحرية والتغيير - الكتلة الديموقراطية" (بقيادة جعفر الصادق المهرغني)، و"الحركة الشعبية لتحرير السودان - شمال" (عبد العزيز الحلو)، في نهاية جولة محادثات 21 - 23 شباط الفائت، عن توجّه إلى تكريس هذه الرؤى القاصرة والكفيلة بإبقاء تشوّه الأوّل الرؤية الإماراتية، بينما لا يمكّن الثاني الخروج عن المدار السعودي بأيّ حال من الأحوال، مع ملاحظة أن "الدعم السريع" ظلّ المورد الأساسي لمجموعات القوّات السودانية المساهِمة بشكل منتظم في الحرب السعودية على اليمن، كما أن عناصرها مرشّحة بقوّة لأدوار مماثلة في دول جوار السودان.

يُضاف إلى ما تَقدّم، أن خطاب قادة "الدعم السريع"، الداعم لحكومة مدنية، و"المناوئ" لاستمرار هيمنة الجيش على مفاصل المرحلة الانتقالية، بدا خارج السياق تماماً،

> المرحلة الانتقالية باتت برمّتها، في ضوء غياب أجندة وطنية محدَّدة يمكن البناء عليها، ضرباً من العبث الكامل

قياساً إلى ما يدور على الأرض في غربي إقليم دارفور، حيث يظلّ التوتّر منذ شباط الفائت قائماً، وبغضّ النظر عن استمرار وجود تلك القوّات في الإقليم، وارتكابها انتهاكات جسيمة بحقّ سكّان المنطقة، وانتشارها على امتداد حدود السودان مع تشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى. ولعلّ ذلك ما يعزّز من فرضيّات تورّطها في أنشطة في دول الجوار (مع انتشار مكثّف للمعارضة التشادية المسلّحة في شمالي جمهورية أفريقيا الوسطى)، بالتنسيق مع أطراف إقليمية ودولية، ومن خارج مظلّة البرهان، في ما قد يؤشّر إلى دور إقليمي متصاعد لدقلو الذي تكرّرت زياراته أخيراً للإمارات تحديداً، ووردت تقارير عدّة عن ارتباط مقاتليه بأنشطة مجموعة "فاغنر" في دول جوار السودان.

الأدوار الخارجية: مشروطية الظلّ

لم يُخفِ الجدل الداخلي المتصاعد، وتكرار طرْح قضايا خلافية قبل إطلاق عمليات سياسية وتشريعية ضرورية (مِن مِثل تحديد مواعيد للانتخابات العامّة، وطرْح مسألة الدستور السوداني والية وضعه بوضوح، وما إلى ذلك)، وجود تأثير خارجي متصاعد في مسار المرحلة الانتقالية. فقد أعلنت الخارجية الإسرائيلية، مثلاً، قبل شهر، التوصّل إلى اتّفاق نهائي لتطبيع العلاقات مع السودان (ربّما بعد مقابلة البرهان ونتنياهو)، على أن يُعقد احتفال التوقيع "عقب نقْل السلطة من الجيش إلى حكومة مدنية في الخرطوم"، في ما يُعدّ مؤشّراً واضحاً على أن الحكومة المدنية المرتقَبة ستكون بصلاحيات أكبر، وأن هدف إجراء انتخابات بنهاية المرحلة الانتقالية سيكون لصالح تكريس سلطة هذه الحكومة بغضّ النظر عن حجم قاعدة التأييد الشعبي لها. كما أن التدخّل المتكرر للإمارات في توجيه عدد من أبرز قادة المرحلة الانتقالية نحو تبنّي سياسات تصادمية - شكلياً على الأقلّ - مع قيادة الجيش السوداني، واستهداف تحقيق مكاسب معروفة لأبو ظبي في السودان ودول جواره على حساب مخاوف الخروقات الأمنية والسياسية، إنّما يدلّل على تعاظُم الضغط على الأخيرة لنقل السلطة إلى حكومة مدنية لن يمكنها في واقع الأمر رفْض أيّ "استحقاقات" لاحقة لهذا "الدعم".

ومع تراجُع الانتقادات الأميركية المباشرة للبرهان ونظامه، وكذلك الاطمئنان الأميركي إلى مجمل سياسات إسرائيل في السودان وتشاد وعدد من دول وسط أفريقيا وشرقها، يبدو جلياً أن إدارة ملفّ السودان - من زاوية المصالح الأميركية - باتت منوطة بإسرائيل بشكل أكبر من ذي قبل. ويعني ذلك، بالتبعية، تراجعاً حادّاً في أدوار فاعلين إقليميين آخرين في السودان، وربّما بمستوى غير مسبوق منذ عقود، لتقتصر في المرحلة المقبلة على تنفيذ سياسات وتوجيهات تكتيكية على نحو يخدم هذه الرؤية الأميركية - الإسرائيلية لمستقبل البلد الأفريقي وإعادة دمجه في المجتمع الدولي، من دون أن يعني هذا قدرة الأطراف الإقليمية المُشار إليها على تحقيق الحدّ الأدنى من مصالحها والتغلّب على مخاوفها، أو حتى ضمان عدم إضافة تهديدات مستجدّة لها.

خلاصة

على رغم خروج "الاتّفاق السياسي الإطاري" في نهاية العام الماضي، في أجواء متفائلة ووسط توقّعات "متسرّعة" بالتزام صارم بتوقيتاته من قِبَل أطرافه كافة، فإن المرحلة الانتقالية باتت برمّتها، في ضوء غياب أجندة وطنية محدّدة يمكن البناء عليها، ضرباً من العبث الكامل، لاعتبارات عدّة أبرزها أن الحوار السياسي الذي كان مفترضاً للوصول إلى مخرجات واضحة أصبح مجرّد منصّة لتكرار فتْح لقضايا وأطروحات سابقة، وربّما تصوّرات شخصية للغاية. وبالتوازي مع ذلك، تستمرّ التفاعلات الخارجية - وبقوّة ملموسة في الأسابيع الأخيرة - في فرْض مشروطيات معقّدة ومكلفة على السودان، من دون أن يعني هذا توقّع وصول "آمن" إلى نهاية المرحلة الانتقالية، بل هو قد يحيل إلى التيقّن من أن الاكتفاء بما تواضع عليه "شركاء السودان" لناحية نقْل السلطة إلى حكومة مدنية، سيطيل أمد "الانتقال" لسنوات أخرى، لتظلّ التسوية السياسية الجوهرية بعيدة المنال، وهدفاً يَجري - في واقع الأمر - تسويقه لإدامة الأزمة، والتمكين من التلاعب بمقدّرات البلاد.

كشفت الورش المتعاقبة عن مستوى بالغ السطحية في مقاربة مشكلات المرحلة الانتقالية في السودان (أ ف ب)

تقرير

مساعٍ للملمة «زوبعة سعيد»

تونس - أفريقيا: أزمة متصاعدة

لا تزال السلطات التونسية، على رغم اشتغالها على لملمة الفضيحة التي أثارتها تصريحات الرئيس قيس سعيّد، الذي رأى أن وجود أفارقة من جنوب الصحراء في بلاده «محاولة للتوطين»، تتعاطى مع الأمر بإنكار الطابع العنصري لها، ورد على لسان رئيسها، وإلى التظاهرات المندّدة التي خرجت اعتراضاً على «التوجّهات الفاشية» للسلطة، انسحبت الأزمة لتطال المستويَين الاقتصادي والدبلوماسي، في ظلّ مطالبة العديد من الدول الأفريقية بسحب سفرائها من العاصمة التونسية، وتعليق اتفاقات ثنائية بينها وبين الأخيرة، وإنْ كان النظام، كما في كلّ مرّة، يحاول تحميل مُعارضيه مسؤولية أفعاله

تونس - **سمير بوعزيز**

تتسارع الأحداث في تونس، بما يُنذر بتحوّلات لا يزال من المبكر التنبّؤ بمآلاتها. فقد تميّزت نهاية الأسبوع المنقضي بتنظيم تظاهرتَين، دعا إلى الأولى، التي خرجت السبت، «الاتحاد العام التونسي للشغل»، احتجاجاً على ما اعتبره «تزايداً للانتهاكات وضرباً للحقوق والحريات»؛ فيما دعت «جبهة الخلاص» المعارضة إلى الثانية، الأحد، تحت عنوان سياسي صرْف لائتلاف يرى ما أقدم عليه الرئيس قيس سعيّد، في 25 تموز 2021، «انقلاباً». وبينما نادت هذه بـ«إسقاط النظام»، نَدّدت تلك التي انضمّ إليها نشطاء مدنيون وسياسيون، بالحملة العنصرية التي طالت عدداً كبيراً من المهاجرين واللاجئين والطلبة الأفارقة، وبما اعتبرته توجّهاً «فاشيّاً».

وكان الحدث الأبرز على الساحة التونسية، قد تمثّل في المأزق الدبلوماسي الذي تسبّبت به تصريحات سعيّد التي وُصفت بـ«العنصرية»، بعدما رأى أن وجود أفارقة من جنوب الصحراء في بلاده «محاولة للتوطين». وقد نتجت من تصريحه هذا، حملة إلكترونية عنصريّة الت إلى اعتداءات بالعنف على عدد كبير من الطلّبة واللاجئين والمهاجرين النظاميين وغير النظاميين، ما أجبر عدداً من الدول الأفريقية على تنظيم رحلات عاجلة لإجلاء رعاياها، فيما اضطرّ كثير من هؤلاء إلى ملازمة منازلهم، وقد وصل الأمر إلى مطالبة بعض

> **يتميّز تعاطي السلطات التونسية مع هذه الأزمة بإنكار الطابع العنصري لتصريحات عدد من مسؤوليها**

هذه الدول بسحب سفرائها. كذلك، كانت لتصريحات سعيّد انعكاسات اقتصادية، وتداعيات خطيرة على التبادل الثنائي بين تونس وعدد من البلدان الأفريقية، من مِثل وقْف تفريغ بضائع تونسية في عدد من الموانئ الأفريقية، وإلغاء صفقات تجارية، واعتذار عدد من رجال الأعمال والمسؤولين الأفارقة عن عدم حضور فعاليات كانت مُبرمجة في تونس، وخصوصاً بعدما قرّر «الاتحاد الأفريقي» تأجيل مؤتمره حول «مكافحة التدفّقات المالية غير المشروعة في أفريقيا»، والذي كان من المُنتظر عقْده في تونس، من 15 إلى 17 الجاري.

وعلى إثر ردود الفعل الساخطة تلك، سارعت جهات رسميّة إلى محاولات التبرير، موضحة أن المُراد هو «تطبيق القانون ضدّ الهجرة غير النظاميّة». وعلى الخلفية نفسها أيضاً، عقد وزير الخارجية، نبيل عمار، وعدد من ممثّلي المؤسّسات المعنية بالهجرة، أوّل من أمس، ندوة صحافية في مقرّ الوزارة، رأى فيها أن الأمور اتّخذت هذا الاتّجاه «بفعل فاعل»، مشيراً إلى الحملة التي تبعت تصريحات الرئيس. وجاءت هذه الندوة بعد يوم من صدور بلاغ عن رئاستَي الجمهورية والحكومة، يتضمّن جملة إجراءات تخصّ الأفارقة جنوب الصحراء، من بينها: منْح بطاقات إقامة لمدّة سنة قابلة للتمديد للطلّبة، وتسهيل المغادرة الطوعية مع الإعفاء من دفْع خطايا التأخير.

ولم تمضِ ساعة على مؤتمر عمار، حتى نشرت وكالة «رويترز» فحوى رسالة وجّهها رئيس «البنك الدولي» إلى الموظّفين، الأحد، جاء فيها: «أن البنك أوقف نشاطه مع تونس بعدما أثارت تصريحات رئيس البلاد في شأن المهاجرين من أفريقيا جنوب الصحراء، مضايقات وأعمال عنف بدوافع عنصرية». لكن المؤسسة الدولية سارعت إلى نفي ما أوردتْه «رويترز»، موضحة أنها قامت «بتعليق المناقشات بشكل مؤقّت حول إطار الشراكة القُطريّة للبنك الدولي مع تونس، والذي يحدّد التوجّهات الاستراتيجية لأنشطة العمليات في المدى المتوسّط (2023-2027). ويستمرّ الحوار والتواصل مع السلطات التونسية»، ما يبيّن أن المؤسّسة المالية الدولية بصدد مراجعة شراكتها مع الدولة التونسية. ولم ينفِ البيان التوضيحي أن يكون قد راسل موظّفيه بخصوص الأحداث الأخيرة في تونس، والتي تثير، بحسبه، «قلقاً عميقاً لمجموعة البنك الدولي وموظّفيها».

من جهتها، أعربت وزارة الخارجية الأميركية، على لسان الناطق باسمها، نيد برايس، عن «قلقها البالغ إزاء تصريحات الرئيس التونسي في شأن الهجرة والتقارير عن اعتقالات تعسفيّة»، وحثّت السلطات التونسية على احترام التزاماتها المتعلّقة بحماية حقوق اللاجئين وطالبي اللجوء والمهاجرين. وجاء الموقف الأميركي متأخّراً مقارنة بموقف «الاتحاد الأفريقي» الذي وصف ما صدر عن سعيد بـ«خطاب كراهية عنصري».

في هذا الوقت، نُظّمت فعاليات مدنية في عدد من شوارع العاصمة تنديداً بتصريحات سعيّد وتوجّهات النظام تجاه الأفارقة، فيما أسّس عدد من النشطاء ما سمّوه «جبهة مناهضة الفاشية» التي تعرّف عن نفسها بأنها «جبهة لمقاومة السياسات والخطاب والممارسات العنصريّة والاستبداديّة». كذلك، انتظمت تنسيقيات مدنيّة لتوفير المؤونة للاجئين الذين لازموا بيوتهم، قبل أن يتعرّض المُتضامنون لحملة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، سرعان ما تحوّلت إلى محاولات اقتحام لمقارّ الجمعيات التي فتحت أبوابها لتلقّي المساعدات، على غرار «جميعة كلام»، ومقرّها العاصمة. في المقابل، لا تزال السلطات التونسية تصرّ على إنكار الطابع العنصري لتصريحات عدد من مسؤوليها، وعلى رأسهم رئيس الجمهورية، فيما تحاول الإيهام بأن الردود التي أعقبتها مُفتعلة، وبأنها تأتي في إطار استهداف النظام، وبأن جهات تستثمر الأمر لأغراض سياسية. وعلى رغم أن تونس أصدرت منذ عام 2018، قانوناً يُجرّم التمييز العنصري، كما أنها مُصادِقة على كلّ الاتفاقات الدولية المتعلّقة بحقوق الإنسان، إلّا أن أيّ إجراء قضائي لم يُتّخذ في حقّ مَن يقودون الحملات «العنصرية»، ما يزيد الشكوك حول جديّة مؤسّسات الدولة التونسية في مراجعة مواقفها، ووقْف هذا التوجّه الخطير.

(أ ف ب)

تقرير

روسيا أكثر اعتماداً على اليوان: المصلحة تسبق المخاطر

يُظهر أداء الاقتصاد الروسي خلال السنة الماضية، أن موسكو استطاعت بالفعل الصمود في وجه الحصار الغربي المشدَّد عليها، وهو ما يُعزى، في جانب منه، إلى بدئها منذ أعوام العمل باستراتيجية تحوّط، عنوانها استخدام عملات بديلة في المعاملات الدولية، على رأسها اليوان. وعلى رغم ما تكتنفه هذه الاستراتيجية من مخاطر بالنظر إلى أن "اليوان لا يمكن أن يصبح عملة احتياطية كاملة"، إلّا أن ثمّة مصلحة مشتركة متزايدة في مابين الأقطاب غير الغربية في الانفكاك من سطوة الدولار، الأمر الذي من شأنه أن يشكّل تهديداً متعاظماً للأخير، مع أنه يبقى حتّى الآن العملة العالمية المهيمنة

بتول سليمان

في عام 2018، ومع بداية ولايته الرابعة، تعهّد الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، بالدفاع عن سيادة بلاده الاقتصادية ضدّ العقوبات الأميركية، موطّئاً للبدء بدعم خطّة

> **العقوبات تؤدّي إلى «نظام عملات مجزّأ متعدّد الأقطاب»**

وطنية تستهدف الحدّ من انكشاف بلاده على أيّ عقوبات مستقبلية. خطّةٌ أتاحت لموسكو، بالفعل، نوعاً من الصمود "الإيجابي" في وجه الحصار الغربي غير المسبوق عليها في أعقاب غزْوها لأوكرانيا. وقد قامت استراتيجية التحوّط الروسية، تلك، أوّلاً، على استخدام عملات بديلة في المعاملات الدولية، وهو ما شرعت فيه بالفعل شركات الطاقة الروسية التي استبدلت بالدولار، اليوان الصيني والذهب. أيضاً، خفّض البنك المركزي الروسي حصّة الدولارات في احتياطات النقد الأجنبي، عامداً عوضاً عنها إلى شراء الذهب واليورو واليوان، توازياً مع تخفيض استثماراته في سندات الخزانة الأميركية. ووفق أرقام صادرة عن البنك المركزي الروسي، فإنه بين شهرَي آذار وأيار 2018، انخفضت احتياطات البنك من الدولار من 96,1 مليار إلى 14,9 مليار، لتبلغ في نهاية عام 2021 نحو 3,9 مليار.

كذلك، تضمّنت الاستراتيجية الروسية مضاعفة استخدام اليوان الصيني في نواحي الاقتصاد كافة؛ إذ بحسب تقرير لـ"وول ستريت جورنال" نُشر أواخر شهر شباط الماضي، فإن مُصدّري الطاقة الروس "يتقاضون رواتبهم باليوان بشكل متزايد"، فيما "صندوق الثروة السيادي الروسي" أصبح يستخدم العملة الصينية لتخزين الثروات النفطية. ويلفت التقرير إلى أن الشركات الروسية باتت تقترض باليوان، بينما الأسر أضحت تُخزّن مدّخراتها به، مضيفاً أن الضغط الغربي على روسيا أدّى إلى ازدهار التجارة باليوان بينها وبين الصين، حيث أصبحت بكين مشترياً رئيساً للنفط الروسي، في حين أمست موسكو أكثر اعتماداً على صديقتها في مجال أشباه الموصلات وغيرها من التقنيات. أيضاً، أصدرت الشركات الروسية سندات بالعملة الصينية بقيمة تُعادل أكثر من 7 مليارات دولار العام الماضي، وفقاً لبيانات نشرتْها شركة «ريفينيتيف» البريطانية. وكانت روسيا والصين اتّفقتا، عام 2019، على الارتقاء بعلاقتهما إلى مستوى «شراكة استراتيجية شاملة»، وهو ما تبِعه اتّفاق على استخدام العملات الوطنية في التسويات الدولية بينهما.

غالباً ما يُخطئ الشاسبة الروس التقدير في اعتبار توسّع اليوان نذيراً بانهيار الدولار (أرشيف)

مخاطر استبدال الدولار

لا يبدو ميزان الفوائد من استخدام العملة الصينية متوازناً بين بكين وموسكو، خصوصاً أن الأخيرة تبدو مضطرّة اضطراراً إلى هذا الخيار. إذ تَنقل «وول ستريت جورنال» عن الكسندر غابوييف، الباحث في مؤسّسة «كارنيغي للسلام الدولي»، قوله إن «روسيا تخلّت عن مخاوفها بشأن منْح الصين نفوذاً كبيراً في اقتصادها»، بوصْف ذلك «الخيار العقلاني الوحيد»، من أجل أن تكون الأولى «أقلّ انكشافاً واعتماداً على العملات المُعادية مثل الدولار أو اليورو». ووفقاً لبيانات «المركزي الروسي»، ارتفعت حصّة الصادرات الروسية المدفوعة باليوان إلى 14%، بحلول شهر أيلول الماضي. على أن "اليوان لا يمكن أن يصبح عملة احتياطية كاملة بسبب القيود الحالية على المعاملات الرأسمالية من وإلى الصين"، وفق الباحثة في «كارنيغي»، الكسندرا بروكوبينكو، التي توضح، في مقال نُشر الشهر المنصرم، أن اليوان يشكّل 3% فقط من احتياطيات العملات العالمية، فيما يشكّل الدولار 60% واليورو 20%.

وإذ سيساعد اعتماد روسيا المتزايد على اليوان، الصين، في تحويل عملتها إلى عملة احتياطية دولية، فإن الساسة الروس "غالباً ما يخطئون التقدير في اعتبار توسّع اليوان نذيراً بانهيار الدولار"، بحسب بروكوبينكو، التي تُبيّن أن "زيادة تداول اليوان تعني أن الحكومة الصينية بحاجة إلى المزيد من احتياطات الدولار"، مستنتجةً أن "قوّة اليوان كعملة احتياطية لا تُضعف الدولار، بل إن العملتَين تكمّلان بعضهما البعض"، وبالتالي "لا تستطيع بكين حقّاً مساعدة موسكو في حملتها ضدّ الدولار". أمّا في حال تدهور علاقات الدولتين، فإن روسيا "ستتكبّد خسائر في الاحتياطيات، وفي آليات الدفع البديلة عن نظام سويفت"، والتي كانت قد صُمّمت بعد أن وُسّعت إدارة الرئيس الأميركي الأسبق، باراك أوباما، قائمة العقوبات المفروضة على روسيا عام 2014. ومن بين تلك البدائل «نظام تحويل الرسائل المالية» (SPFS)، القائم على الروبل، والذي يفيد تقرير لمجلة «فورين أفيرز»، صدر في آذار الماضي، بأنه بات يعمل بكامل كفاءته منذ عام 2017، فيما وصل عدد مستخدميه عام 2022 إلى 399 مصرفاً.

العقوبات تجمع

على رغم المخاطر التي يكتنفها الاعتماد الروسي المتزايد على اليوان، فإن روسيا والدول الصديقة لها تجد مصلحة متعاظمة في الاتّكال على العملات المحلّية في تبادلاتها التجارية، سواءً بسبب خضوعها بالفعل للحصار، كما هو حال موسكو التي جمّد الغرب، منذ بداية الحرب في أوكرانيا، حوالى 300 مليار دولار من احتياطياتها الأجنبية، أو بسبب خشيتها من الوصول إلى مصير مماثل، تشهد على إمكانية تكرّره في تجارب كثيرة، من بينها تجربة فنزويلا التي صادرت الولايات المتحدة وبريطانيا إمداداتها من الذهب.

وفي هذا الإطار، ترى الكاتبة تسونغ يوان، في مقال نُشر في «مجلس العلاقات الخارجية» أوائل العام الماضي، أن «لدى روسيا شركاء أكثر من الحدّ من الدولرة في آسيا، من مثل الهند»، التي أعربت في ما مضى عن اهتمامها بخلْق بديل لـ«SWIFT» من شأنه أن يسمح لها بالتجارة مع الدول الخاضعة للعقوبات الأميركية. ومع أن الدولار يبقى حتّى الآن العملة العالمية المهيمنة، فإن «التشاؤم بشأن مستقبله سائد»، وفق ما تنبّه إليه الكاتبة رنا فروهر في صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية، فيما تلفت نائبة المدير العام لـ«صندوق النقد الدولي»، غيتا غوبيناث، إلى أن العقوبات تؤدّي إلى «نظام عملات مجزّأ متعدّد الأقطاب»، وهو ما يفرض على الغرب «إعادة التفكير في كيفية فرْض العقوبات، بما قد يمكّنه من حماية مكانة الدولار».

استراحة

كلمات متقاطعة 4262

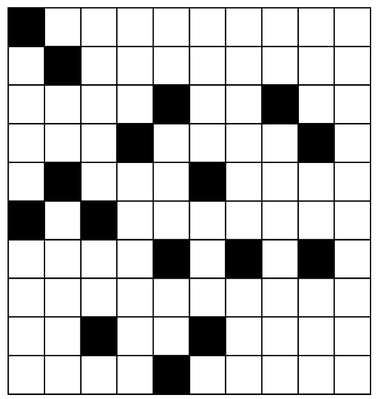

أفقيا

1- من المعادن له قوة جذب – 2- أكبر مركز مالي عالمي – 3- قلق وحزن – أصل – رمى بالحجارة – 4- عاصمة أذربيجان – ظلم – 5- ممثلي الأمة – مشى – 6- إله البذار والحراثة عند الرومان – 7- دولة في أميركا الشمالية – 8- ممثلة لبنانية قديرة – 9- علف الدواب – ثغر – للمساحة – 10- في الوجه – خد

عمودياً

1- أحد متصرفي جبل لبنان – 2- عتاب – للندبة – من الحروف المشبّهة بالفعل – 3- سئم وضجر – إسم قديم لهولندا – 4- جهاز المخابرات في ألمانيا زمن هتلر – يقرع الجرس – 5- نرحل عن المكان – نادر بالأجنبية – 6- أهم أنهر سويسرا – ثقلة النوم – للتأفف – 7- له أجنحة – سكان المناطق القطبية – 8- يبيع ويشتري – عاصفة بحرية – 9- عائلة كاتب إيرلندي ساخر – جدّ القبائل العربية الشمالية أهل الحجاز ونجد وتهامة – 10- من الحيوانات – عائلة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الجولان – آب – 2- لوزان – دوري – 3- اس – ودَع – هُنا – 4- سام – شامبور – 5- أكسفورد – نك – 6- طابات – حر – 7- آر – بيادر – 8- رار – الدخَان – 9- حلب – آغا – 10- هاني العمري

عمودياً

1- الأساطير – 2- لوساكا – انا – 3- جزّ – مسبار – 4- واو – فار – حي – 5- لندشوت – إلا – 6- عار – بلبل – 7- ند – مدريد – 8- وهب – حاخام – 9- اردنون – داغر – 10- بيار كورناي

sudoku 4262

7	1		2	4		9	6	
5							4	
	6			5	3			2
		2			7	8		
	7			8	1		9	
		1		6	2	5		
6			8	2			5	
	8				5			
2	3				6			

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4261

3	5	9	2	6	1	7	4	8
4	8	2	3	7	5	6	1	9
7	1	6	8	4	9	5	2	3
2	3	4	7	5	6	9	8	1
1	6	8	4	9	3	2	5	7
9	7	5	1	2	8	4	3	6
8	9	7	5	1	4	3	6	2
6	4	3	9	8	2	1	7	5
5	2	1	6	3	7	8	9	4

مشاهير 4262

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ممثلة كويتية. قدمت الأغاني الوطنية والرياضية وقامت بكتابة عدد من الأعمال الفنية

8+9+5+4 = 1+4+5+9+8 = من الحبوب ■ 3+9+10+11 = إسم الجلالة ■ 2+3+3+6+7 = ناسك

حل الشبكة الماضية: **باولو كويلهو**

إعداد
نعوم مسعود

الكرة اللبنانية

البرج في كأس الأندية العربية: تحدّيات ومتطلّبات كثيرة

ما إن أعلن الاتحاد اللبناني في تعميمه قرار تسمية نادي البرج لتمثيل لبنان في كأس الأندية العربية لكرة القدم، حتى وجد النادي نفسه أمام تحديات عديدة إدارية وفنية وحتى لوجستية قبل أقل من شهر على انطلاق المنافسة التي أفرزت قرعتها مواجهة البرج لنادي الوحدة الإماراتي في الدور الأول

عبد القادر سعد

«طلب البرج لاعبين من النجمة والعهد والانصار والاخير لم يجب بعد»

نال البرج شرف تمثيل لبنان في كأس الأندية العربية لحلوله في المركز الثالث في الموسم الماضي (طلال سلمان)

بُعَدَ أيّ تمثيل خارجي لنادٍ كروي شرفاً كبيراً يضع على عاتق هذا النادي مسؤولية كبيرة. فالنادي في هذه الحالة يخرج من مناطقيّته وجماهيريّته ليصبح بحجم الوطن تمثيلاً وجماهيرية. هذه هي حال نادي البرج الذي سيمثّل لبنان في كأس الأندية العربية لكرة القدم بصفته ثالث الدوري الماضي. قرار الاتحاد بتسمية البرج كونه ثالث الدوري في الموسم الماضي أثار استياءً أنصارياً من ناحية أن الأنصار هو من يستحق أن يمثّل لبنان إذا تمّ اعتماد الموسم الماضي كمعيار كون القرار حينها كان بأن يشارك في البطولة العربية صاحب المركز الثاني في الدوري، كون بطل الدوري وبطل الكأس يمثلان لبنان في كأس الاتحاد الآسيوي. أما مسألة اعتبار ثالث الدوري هو من يشارك في البطولة العربية، فهو سيعتمد في المهم أن الأمور حُسمت وأصبح البرج ممثل لبنان في البطولة العربية وسيواجه فريق الوحدة الإماراتي الشهر المقبل بمباراتين، الأولى ذهاباً ستقام في واحد من أيام 4، 5، 6 نيسان المقبل، والإياب في واحد من أيام 13، 14، 15 نيسان بانتظار تحديد الموعد النهائي من قبل الاتحاد العربي.

هي ليست المشاركة الخارجية الأولى للبرج. «أصفر» الضاحية الجنوبية سبق له أن شارك في مسابقة كأس الكؤوس الآسيوية عام 1995 بعدما أحرز لقب كأس لبنان حينها. لكن هذه المشاركة تعود إلى 28 سنة إلى الوراء، وبالتالي جميع الظروف قد تغيّرت سواء على صعيد لبنان ومنشآته الرياضية المؤهلة لاستضافة فريق خارجي أو على صعيد المتطلبات المطلوبة من الأندية المشاركة.

تحديات عديدة تواجه البرجيين قبل أقل من شهر على مباراة الذهاب. أوّل هذه التحديات هو ملعب المباراة. فالبرج قدّم في استمارة المشاركة اسم ملعب جونية وأرفق صوراً له ولمرافقه، والأهم لعشبه. هذا العشب الصناعي الذي قد يكون سبباً في استبعاد الملعب كما أشار إداريّ من نادي البرج مطّلع على ملف المشاركة. فالاتحاد العربي يرغب في إقامة المباراة على ملعب يتمتع بعشب طبيعي، ما يعني أن البرج قد يخوض مباراتيه خارج لبنان، سواء على أرض محايدة والأرجح أن تكون السعودية، أو يخوض مباراتيه في الإمارات بانتظار قرار الاتحاد العربي.

لا شك أن البرجيين يفضّلون اللعب على أرضهم، لكن غياب الملاعب العشبية الطبيعية، باستثناء ملعب طرابلس الذي أيضاً قد لا يكون مطابقاً للمواصفات المطلوبة، سيعني أن يخسر ممثل لبنان فرصة اللعب على أرضه.

تحدٍ آخر هو التحدي الفني. فالبرج، الذي يحتل المركز الخامس في الدوري اللبناني، يجد نفسه مضطرّاً إلى تدعيم صفوفه بلاعبين من أندية أخرى لكي يكون على مستوى المنافسة. وهو في هذا الإطار تواصل مع أندية النجمة والعهد والأنصار طالباً استعارة الحارس علي السبع واللاعبين: قاسم الزين ومهدي الزين من النجمة، والتونسي حسام اللواتي والسنغالي الحاج مالك (هدّاف الدوري بـ 22 هدفاً) والمهاجم أحمد حجازي من الأنصار، إلى جانب حسين دقيق وزين العابدين فران من العهد. رئيسا نادَيي العهد والنجمة تميم سليمان ومازن الزعني أبديا رغبتهما في دعم البرج بكل إمكاناتهما، أما نادي الأنصار فلم يكن هناك جواب حتى الآن في ما يتعلّق بطلب البرج استعارة ثلاثة لاعبين منه.

هي أيام قليلة وتتوضح الصورة على أكثر من صعيد في ما يتعلّق بمشاركة البرج الخارجية، لكن ما هو مؤكّد أنها تجربة استثنائية لفريق استثنائي يملك قاعدة جماهيرية ولاعبين قادرين على تمثيل لبنان بأفضل صورة.

الكرة الأوروبية

أبطالٌ جددٌ في كل موسم... لا احتكار بعد اليوم!

شهدت السنوات الماضية تغيّراً كبيراً في موازين القوى بين أغلب أندية الدوريات الكبرى. باستثناء الدوري الألماني الذي لا يزال يقبع تحت سيطرة بايرن ميونيخ، أصبح من المعتاد ظهور بطل جديد في كل نسخة تقريباً. وهذا الموسم ليس استثناءً

حسين فحص

«لكل حقبة نهاية». هكذا وصف مدرب مانشستر يونايتد الحالي إريك تن هاغ السباق الثنائي بين مانشستر سيتي وليفربول على لقب الدوري الإنكليزي الممتاز في الفترة الماضية. قبول تصريح المدرب الهولندي بالسخرية والتهكم حينها، غير أنّ تصدُّر فريق من خارج السرب لقمة الدوري على حساب البطلين السابقين أثبت صحة المقولة.

يحتل نادي أرسنال قمة ترتيب «البريميرليغ» بـ63 نقطة، مبتعداً عن الوصيف مانشستر سيتي بخمس نقاط. انتصاره الأخير (3-2) على بورنموث عكس شخصية البطل، حيث قَلَب «الغانرز» التأخر من هدفين نظيفين، إلى فوز في الدقيقة 97. هو الموسم الأفضل للفريق اللندني منذ سنوات عديدة. يعود تتويج الفريق الأخير في الدوري إلى عام 2004، مع المدرب الفرنسي الأسبق أرسين فينغر. عرف النادي العديد من التخبّطات بعدها إلى أن استقر مع المدرب الحالي ميكيل أرتيتا.

يعد أرسنال إحدى أبرز «مفاجآت» الكرة الأوروبية، إثر عودته إلى المنافسة بعد سنوات من السبات. إذا فاز الفريق بلقب الدوري لهذا الموسم، سوف يكون «المدفعجية» البطل الثالث في آخر أربع نسخ، بعد مانشستر سيتي (مرتين تواليا) وليفربول.

عودة بايرن

بطلٌ محتمل آخر في إيطاليا، جاء من خارج السرب ليستكمل مسلسل منع احتكار اللقب. يبدو نابولي في طريقه إلى الفوز بـ«السكوديتو» الأول له منذ عام 1990، والثالث بالمجمل. فريق المدرب لوتشانو سبالليتي يحتل صدارة «الكالتشيو» حتى الجولة 25، وبفارق مريح عن أقرب الملاحقين. تعرقلت سلسلة نتائج نابولي الإيجابية بخسارة أمام لاتسيو في الجولة الماضية، لكنها لم تغيّر الكثير حيث كانت الهزيمة الثانية مقابل تعادلين و21 انتصاراً للفريق الجنوبي هذا الموسم. تتويج نابولي المحتمل فسوف يجعله البطل الرابع في آخر 4 مواسم من الدوري الإيطالي، حيث سبق وأن فاز «إي سي ميلان» بلقب دوري الموسم الماضي، وقبله إنتر ميلانو. وقبل ذلك يوفنتوس في 9 نسخ متتالية.

في إسبانيا، يسير برشلونة نحو لقبه السابع والعشرين في الدوري. يبتعد «البلاوغرانا» بفارق جيد عن ملاحقه ريال مدريد يصل إلى 9 نقاط، وفي حال تتويجه، سوف يكون برشلونة البطل المختلف الثالث في آخر أربعة مواسم بعد ريال مدريد (مرتين متفصلتين) وأتليتيكو مدريد. يعد برشلونة مرشحاً دائماً للتتويج بمختلف البطولات المحلية، لكنه كان أحد أكثر المتأثرين سلباً بتبعات فيروس كورونا، الذي كشف «المستور» في خبايا إدارة النادي السابقة. ومع إعادة هيكلة الجهازين الإداري والفني، عاد برشلونة إلى دائرة المنافسين مجدداً ليمنع ربما سعي منافسه ريال مدريد في السيطرة على الدوري.

بالنسبة إلى الدوري الفرنسي، يحاول فريق مارسيليا تكرار إنجاز نادي ليل في الموسم ما قبل الماضي، أملاً بالتتويج على حساب باريس سان جيرمان، لكن هذا الأخير يبدو أقرب من أي وقت مضى إلى التتويج. ومنذ استلام الإدارة القطرية زمام الأمور، فاز النادي الباريسي بثمانية ألقاب من أصل عشرة، ولم يتمكن من إيقافه سوى موناكو موسم 2016/2017 ثم ليل 2020/2021. أمرٌ يسعى إلى تكراره مارسيليا هذا الموسم أيضاً.

ما عرفته أغلب الدوريات الأوروبية الكبرى لم ينطبق على «بوندسليغا»، أقله حتى الجولة 23. يحتل بايرن ميونيخ صدارة الدوري الألماني بفارق الأهداف عن غريمه بوروسيا دورتموند، وفي حال تتويج المارد الأحمر بالدوري، سوف يصل إلى لقبه الحادي عشر توالياً. صراع قد لا يُحسم إلا في الأمتار الأخيرة من المسابقة، وسط سعي أسود الفستيفال إلى إيقاف احتكار بايرن ميونخ.

الدوريات الأوروبية الكبرى في حالة إعادة هيكلة. يعود ذلك لأسباب مختلفة تتعلق أبرزها بتبعات كورونا السلبية على ميزانيات الأندية. ظاهرة السباق الأحادي والثنائي في تراجع ملحوظ، وهو ما يساهم بإعطاء جمالية مضاعفة لكرة القدم.

ما عرفته الأندية الأوروبية الكبرى الأربعة لم ينطبق على الـ«بوندسليغا»

بيدرو بايرن الوحيد القادر على الهيمنة مجددا (أ ف ب)

دوري أبطال أوروبا

بايرن ميونيخ «يهدد» موسم الباريسيين

فاز ميلان ذهاباً على توتنهام بهدف من دون رد (أ ف ب)

يخوض باريس سان جيرمان الفرنسي «مباراة موسمه» اليوم الساعة 22:00 بتوقيت بيروت على أرض بايرن ميونيخ الألماني في إياب ثمن نهائي دوري أبطال أوروبا في كرة القدم، باحثاً عن قلب خسارته ذهاباً في عقر داره (1 . 0) ومعوّلاً على الفورمة الجيدة لنجم هجومه كيليان مبابي. ويتعيّن على بطل فرنسا التفوّق على الفريق البافاري، لقلب خسارته ذهاباً بهدف لاعبه السابق كينغسلي كومان، بغية عدم الإقصاء مجدداً في الدور ثمن النهائي، على غرار العام الماضي عندما ودّع أمام ريال مدريد الإسباني.

وفي حال ودّع النادي الباريسي المسابقة الأوروبية اليوم، بعد إقصائه أيضاً من مسابقة الكأس المحلية أمام غريمه مارسيليا، سيبقى للفريق المملوك قطرياً ساحة الدوري المحلي فقط حيث يتصدر بفارق مريح عن مارسيليا نفسه. وفي حال حصل هذا الإقصاء فإنه سيزيد الضغوط على مدرب الفريق كريستوف غالتييه القادم هذا الموسم مع المدير الرياضي البرتغالي لويس كامبوس.

ويحلم النجم الفرنسي كيليان مبابي، هداف مونديال قطر، بمنح سان جيرمان اللقب القاري الأول، وهو إنجاز لم يتمكن من تحقيقه العام الماضي عندما ودّع أمام ريال مدريد الإسباني.

في المقابل، يمرّ بايرن في فترة جيدة، مع انفتاح شهية التسجيل لمهاجمه الكاميروني إريك ماكسيم تشوبو-موتينغ صاحب أربعة أهداف في آخر سبع مباريات وخمسة من المتألق كومان، علماً أن الأخيرين حملا سابقاً ألوان سان جيرمان. الفريق الذي يخوض معركة طاحنة مع بوروسيا دورتموند على صدارة «البوندسليغا» التي هيمن عليها في العقد الأخير، عزّز صفوفه بالمهاجم السنغالي ساديو مانيه وقلب الدفاع الهولندي ماتيس دي ليخت، لاستعادة اللقب القاري. ويدرك مدرب الفريق الشاب يوليان ناغلسمان أن الخروج المبكر من المسابقة القارية المتوج بلقبها 6 مرات، لن يعوّضها التتويج المحلي، رغم المنافسة الشرسة مع دورتموند.

وفي المباراة الأخرى التي تُلعب بذات التوقيت يبحث توتنهام الإنكليزي عن قلب خسارته ذهاباً على أرض ميلان الإيطالي بهدف. ومُني الفريق اللومباردي بخسارة مفاجئة أمام فيورنتينا في الدوري المحلي، ليتساوى مع روما في المركز الخامس. أما توتنهام، فسقط على أرض ولفرهامبتون وبات ليفربول الخامس على مقربة ثلاث نقاط منه مع مباراة مؤجلة. ويعوّل مدرب ميلان ستيفانو بيولي على استعادة مهاجمه البرتغالي رافايل لياو مستوياته السابقة، لإنقاذ موسمه حيث يبتعد 18 نقطة عن نابولي المتصدر والمتجه نحو لقبه الأول في الدوري المحلي منذ أكثر من ثلاثة عقود.

في المقابل، يعود الإيطالي أنتوني كونتي إلى مقعد توتنهام، في ظل تكهنات حول استمراره مع الفريق الذي يعيش موسماً متذبذباً. وغاب كونتي أربع مباريات عن توتنهام بعد خضوعه لجراحة استئصال المرارة في إيطاليا، بينها الخسارة أمام شيفيلد يونايتد من المستوى الثاني (0-1) في الدور الخامس من مسابقة الكأس.

ولم يحرز توتنهام أي لقب منذ 2008، وحتى قدوم مدرب من طراز كونتي لم ينجح حتى الآن في إعادته إلى سكة الألقاب. وفيما شكّك كونتي بسياسة انتقالات رئيس النادي دانيال ليفي، تعرض ابن الثالثة والخمسين لانتقادات المشجّعين نظراً إلى تكتيكه المتحفظ وتبديلاته المستغربة. ويحتاج فريق شمال العاصمة البريطانية لندن لرفع معنوياته قبل لقاء الرد أمام ميلان الذي اقتنص فوزاً هاماً، بهدف مبكر للإسباني إبراهيم دياس في لقاء الذهاب على ملعب سان سيرو.

وشرح الويلزي بن ديفيس ظهير توتنهام أهمية عودة كونتي إلى مقاعد البدلاء قائلاً: «لقد غاب منذ فترة لكن لدينا مباراة كبيرة الأربعاء ومن الهام تواجده معنا». أما مساعده كريستيان ستيليني الذي لعب دوره في ظل غيابه، فقال: «أنتونيو سيشكّل دفعاً قوياً لنا حتى نهاية الموسم. أظهر الفريق لأنتونيو أنه حيّ. يريدون الفوز والسيطرة على المباريات».

إعلانات رسمية

تبليغ مجهول المقام
محكمة إيجارات صيدا برئاسة القاضي جورج سالم
تدعو المدعى عليها لبنى خضر بكري الغزاوي لاستلام أوراق الدعوى 2022/361 المقامة من المدعين عبد اللطيف وأحمد فؤاد ولطيفة وصباح الترياقي وموضوعها إسقاط حق المدعى عليها بالتمديد القانوني وإلزامها بتسليم الماجور القسم رقم 8 من العقار 1330/الدكرمان العقارية.
رئيس القلم
محمد إبراهيم

إعلان
بتاريخ 2020/9/15 تقدمت السيدة حيات رشيد صوايا باستدعاء سجل بالرقم 918 ودوّر بالرقم 2023/63 طلبت بموجبه إعلان وفاة المرحوم ابراهيم هيكل الحلبي بتاريخ 1916/2/27 وإنحصار ارثه بأولاده نسيب وإسكندر ورشيد وتمام وسلمى الحلبي.
مهلة الملاحظات شهرين من تاريخ النشر.
رئيس القلم
بيار حبيب

الأخبار
إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
71-513571
01-759500

8 آذار

21 امرأة في التاريخ الإسلامي: سيرة مُلهمة في السياسة والفقــه والنبوغ

عبر سرد بانورامي لسيرة 21 امرأة في التاريخ الإسلامي، انطلاقاً من خديجة بنت خويلد (560م-619م) وصولاً إلى عالمة الرياضيات الإيرانية الراحلة مريم ميرزاخاني (1977-2017م)، ومروراً بنساء مسلمات شكّلن نماذج دينية وشخصيات سياسية وفقهية ومدنية على جغرافيا مترامية الأطراف من الجزيرة العربية والهند إلى إسبانيا وشمال افريقيا، ومن مصر واليمن إلى بريطانيا والولايات المتحدة، ياخذنا الباحث الإيراني في «جامعة هارتفورد» الاميركية حسين كمالي في كتابه «تاريخ الإسلام في إحدى وعشرين امرأة» (2022 ــ دار صفحة 7 السعودية ــ ترجمة وفاء يوسف) في رحلة شيّقة هي بمثابة دعوة لتأمّل تاريخ الإسلام بصورة عامة، وحضور المرأة الحاسم في هذا التاريخ. ولذا فهي تستحق مكانة بارزة في السرد التاريخي. مع كل الامثلة التي يستلّها من الماضي، يغدو تفعيل ادوار المرأة في حاضر ومستقبل الإسلام مسالة جوهرية في زمننا الحالي: ياخذنا الترتيب الزمني للسير الذاتية في الكتاب في رحلة من خمسة نماذج دينية إلى ثماني حاكمات، ثم إلى اربع نساء كنّ جزءاً من حركات دينية في حقبة الاستعمار، واخيراً إلى اربع نساء يمكن القول إن انتماء هنّ إلى الإسلام قد لا يرتبط بشكل مباشر مع المهن التي اشتغلن بها في العصر الحديث، إلا ان اهمية المقاربة تكمن في التنوع الذي لا يمكن ان يمثّلن فيه نموذجاً واحداً او نمطاً اختزالياً بسيطاً، بل يمكن صياغة سردية جديدة للإسلام والمواجهة المحتدمة في داخله بين القديم والجديد والنزعات المنادية بإصلاحه، ناهيك بالمواجهات المحتدمة بينه وبين الغرب، من خلال تتبّع سير تلك النساء الملهمات في التقى والفقه والذكاء والروحانية والنبوغ العلمي. سير نستلّ منها مجموعة من النماذج المشرقة التي سلّط كتاب كمالي عليها الضوء في مناسبة «يوم المرأة العالمي».

تقديم وعرض **محمد ناصر الدين**

فاطمة الزهراء (حوالي 612م-633 م):
بضعةٌ من النبي محمد

قال عنها النبي محمد: «فاطمة بضعة مني»، ويأتي كلّ المسلمين على ذِكر فاطمة، ابنة النبي محمد، بالتقدير والاحترام. كما اشتهرت بألقابها: الزهراء والطاهرة والصدّيقة والمباركة والرضيّة والزكيّة والسيدة والبتول وغيرها. برزت في السير النبوية الأولى مرحلتان مهمتان من طفولة فاطمة، إذ عانت مرارة الحزن عندما توفيت أمها خديجة في عام 619 م. أما الحادثة الثانية، فتعكس الصدمة التي مرّت بها عندما شهدت سوء معاملة أهل مكّة لأبيها العزيز. تزوّجت فاطمة علياً في المدينة، خلال السنة الأولى من الهجرة، وبالنظر إلى الشكّ الذي يعتري السنة التي ولدت فيها فاطمة، فإنّها عند زواجها كانت تبلغ ما بين التاسعة والتاسعة عشرة. وفي كثير من الأحيان كان لهذا الرقم أثر في تحديد التشريع الإسلامي المتعلّق بالسنّ المثالية للزواج. شهدت فاطمة، في الفترة ما بين عامي 622م و632م دعوة النبي، وإرشاده لأتباعه، وتاسيسه لجماعة المؤمنين. كانت تحضر في المسجد وهو المكان المقدّس الذي يتحدث فيه النبي إلى أصحابه، ويؤمّهم في الصلاة، وكان أبناؤها الصغار يلعبون معه، حتّى إنهم كانوا يركبون على ظهره أثناء سجوده في الصلاة. كانت فاطمة قوية العزيمة أنجبت خمسة أبناء، ورعت منزلها، وزارت مكّة مرّتين. تصوّر غالبية المصادر ابنة النبيّ على أنها امرأة تتّسم بالإيثار والعطاء، إذ كانت تفضّل الجوع لإطعام المحتاجين من مجتمعها بالقليل الذي امتلكته. وقد سعت المصادر التي تصرّ على إنكار حضور المرأة في التاريخ الإسلامي بشكل عام على تصويرها ضحية للظروف المحيطة بها، إلا أن شخصية فاطمة القوية تتضح في سلوكها بعد وفاة والدها عام 632م، عندما وجدت نفسها وسط أزمة تاجّجت قبيل اتخاذ القرار بشأن خليفة النبي، إذ لم تقسم أي حادثة تاريخ الإسلام بشكل عميق ومؤثر كما فعلت خلافة النبي. تدهورت صحة فاطمة بصورة متسارعة بعد وفاة أبيها، ودفنها عليّ بنفسه سرّاً في عام 633م بعد اعتراضها على الخليفة لحرمانها من أرض زراعية خصبة (فدك) كان النبي قد وهبها إياها في حياتها. وضع مفسّرو القرآن تفسيرات عدة لآية القرآنية: «إنّا أعطيناك الكوثر»، إذ ذكر بعضهم أنّ الكوثر نهر في الجنّة، بينما يرى آخرون، بمن فيهم الشيعة، أن الكوثر مرتبط بفاطمة.

عائشة بنت ابي بكر (حوالي 615م-678م):
خذوا منها نصف دينكم

كانت عائشة ابنة أبي بكر ما زالت طفلة عندما زوّجها والدها لصاحبه، النبي محمّد في أواخر عام 623م أو مطلع عام 624م. وعلى الرغم من أن عائشة لم تنجب قطّ، إلا أنّ القرآن يصفها (سورة الأحزاب، الآية 6) وسائر زوجات النبي، بأمّ المؤمنين. تُجمع المصادر على أنها كانت تمتلك ذاكرة مذهلة وذكاءً حادّاً، ولذا روت الكثير عن النبي وسننه بعد وفاته في عام 632م، ولا سيّما سلوكه على الصعيد الشخصي. كان النبيّ يأتمنها على أسراره، ويستشيرها، ويمتدح خصالها أمام الآخرين، وقد عبّر عن حبّه الخاص لها، ويقال إنه توفي ورأسه في حجرها، كما تذكر المصادر أنّ النبي قال: «خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء»، وكانت عائشة تبدي ملاحظاتها في ما يتعلّق بالقرآن، إذ كانت تشير إلى الترتيب المفضّل للآيات، والقراءة والكتابة الصحيحتين لكلمات وعبارات معيّنة. وعندما جمع المسلمون الحديث والسنّة النبوية مع حلول القرن التاسع الميلادي، أسندوا ما يصل إلى 2210 أحاديث إلى عائشة، كان منها 1200 حديث روته مباشرة عن النبي، وتدلّ هذه الأرقام على مكانتها، حتى إنّ أقوى صحابة النبي لم يتمكنوا من إسكات رأيها أو تجاهله، ولا سيما قد دافع عنها النبيّ حين شكّك بعضهم في المدينة، في «عفّتها» واستقامة أخلاقها، في حادثة يُطلق عليه المؤرّخون اسم «حديث الإفك». حافظت عائشة على مكانتها الاجتماعية المرموقة في أيام والدها الخليفة أبي بكر وبعد وفاته (في خلافتي عمر وعثمان)، وكانت في رحلة حجّ حين سمعت خبر مقتل الخليفة الثالث، فوقفت في صفّ اثنين من صحابة النبي وهما طلحة والزبير، ودعمت المطالبة بثأر عثمان ورفضت قرار عليّ بحقن الدماء، فانطلقت على ظهر ناقة للاستيلاء على البصرة. إلا أنّ علياً قمع المعارضة في ما يعرف بوقعة الجمل، وأبدى احتراماً عظيماً لها، إذ أرجعها إلى المدينة من دون أي أذى. ورغم أن أحد الصحابة ممن شهدوا وقعة الجمل قال إنه سمع النبيّ يوماً يقول: «ما أفلح قومٌ ولّوا أمرهم امرأة»، إلا أن الباحثة في علم الاجتماع فاطمة المرنيسي (2015-1940) تشكّك في ذلك، إذ يرأيها أن غالبية الروايات حول الفترة التاسيسية للإسلام قد أعيدت صياغتها لأهداف سياسية أو عقائدية. ومن غير المفاجئ أن تلقي الإشارة إلى عائشة بظلالها على المنظور الإسلامي للمرأة، والسياسة، ودور المرأة في السياسة.

رابعة العدوية (حوالي 717م-801م)
أحبّك حبّين

تقف رابعة شامخة في تاريخ الصوفية، ويظهر أكثر وصف مفضّل لها في أحد المؤلّفات الصوفية لفريد الدين العطّار (توفّي عام 1217م) بعنوان «تذكرة الأولياء»، وتُغنّى قصائد رابعة في أنحاء العالم على الطرقات وعلى الشاشات، كما غنّت المطربة أم كلثوم في القرن العشرين قصائد منسوبة إلى رابعة، متصوّفة القرن الثامن، في أحد أفلام السينما العربية الكلاسيكية. ثمة معلومات وفيرة- على الرغم من تناقضها في بعض الأحيان- حول حياة رابعة وأسطورتها. تزعم بعض المصادر أنّ أباها باعها جارية في طفولتها عندما ضربت مجاعةٌ البصرة. ويضيف بعضها أنها كانت تغنّي لمولاها وهي جارية، وتصفها بعض المصادر الأخرى أنها كانت ذات خدم وحشم. وثمّة خطيبات وزاهدات شهيرات باسم رابعة، وتتشارك بعضهنّ النسب القبليّ ذاته، ولربما امتزجت قصصهنّ في سيرة حياة رابعة، ما لا يدع لنا إلا بعض الحقائق الصحيحة عنها. يشير لقبها «العدويّة» إلى فرع ذي شأن من قريش. لم تتزوج رابعة قطّ، ولم تترك أيّ كتابات لها، غير أنّ بعض المصادر اللاحقة تنسب إليها الكثير من الأقوال والقصص مؤكدة على مكانتها الهامة في أوساط أشهر المتصوّفة المسلمين «حتّى إنه يوماً تبعها رجُل، فهربت منه، فسقطت على الأرض، وانخلعت يدها، فوضعت خدّها على الأرض وقالت: إني ضعيفة غريبة لا أب لي ولا أمّ، أسير تحت يد ظالم، ومع هذا انخلعت يدي، وأنا راضية بجميعها، لكن لا أعلم هل أنتَ (يا ربّ) راضٍ عنّي أم لا؟».

يبيّن مثال رابعة أنه يمكن للمرأة أن تكون من أولياء الله من دون أن تكون من آل بيت النبي، وأنّ كونها امرأة لا يستبعد احتمال بلوغ أقصى مراتب الروحانية، إذ كما جاء في حديث النبي: «إنّ الله لا ينظر إلى صوَركم»، وقد حطّمت الصوفية الأفكار المبتذلة لكارهي النساء من خلال وضع رابعة في هذه المكانة المبجّلة بحضورها الروحاني الفاعل في تاريخ الإسلام، ومما نُسب إليها من شعر: «أحبّك حبّين حبّ الهوى/ وحباً لأنّك أهل لذاكا، فأما الذي هو حبّ الهوى/ فشغلي بذِكرك عمن سواكا، وأما الذي أنت أهلٌ له/ فكشفك لي الحجب حتى أراكا، فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي/ولكن لك الحمد في ذا وذاكا».

هيف كهرمان ــ من سلسلة «حدس» (2021)

اروى اليمنية (حوالي 1050م-1138م)
ملكة سبأ تبعث من جديد

فقدت أروى والدها أحمد الصليحي في طفولتها، ونشأت في رعاية عمّها علي الصليحي (توفي عام 1067م) الذي شكّل تحالفات مع عدد من القبائل المحلية، وتمكّن بحلول عام 1047م من أن يقتطع لنفسه منطقة يحكمها، تمتدّ من مدينة الزبيدة المزدهرة غرباً إلى ميناء عدن الاستراتيجي جنوباً، فنشأ الحكم الصليحي التابع على المستوى السياسي للدولة الفاطمية المترامية الأطراف والمنافسة للخلافة العباسية في بغداد، وعاصمتها آنذاك مدينة القاهرة المهيبة. عندما توفي زوج أروى في عام 1064م ومن بعده ابنها بوقت قصير، تلقّت رسالة من الخليفة الفاطمي عام 1069م تعيّنها وصيّة على ابنها الصغير في حكم اليمن ومسؤولة عن مصالح الفاطميين في الهند. حافظت الملكة أروى على السّلم في اليمن، إذ كانت تفضّل الدبلوماسية على الحرب، حتى حين كانت ثورات القبائل تهدد حكمها من حين إلى آخر في مدن وحصون مهمة، وأثبتت قدرتها على القتال عند الحاجة، إذ انتقمت بدم بارد من قبيلة غرب اليمن، كانت قد غدرت بعمّها وعدد من أفراد عشيرتها، إلا أنّ مهاراتها الدبلوماسية كانت أكثر أهمية. وبينما جمعت الملكة أروى بين الدعوة الدينية وتشكيل التحالفات والتجارة البعيدة المدى، فقد نشرت الإسلام والدعوة الفاطمية في منطقة حوض المحيط الهندي وازدهر حلفاؤها في اليمن وعمان والهند في مطلع القرن الثاني عشر، وتغنّى رعاياها بالثناء عليها. ومع نهاية الصلاة أيام الجمعة، كان الخطباء يدعون باسمها إلى جانب الخليفة الفاطمي. ويشهد المؤرخون أنّه في عهدها ساد العدل، وكثرت المحاصيل، وعاش الناس في رخاء، كما أثنوا على جمالها حين وصفوها بالسمراء ذات العينين السوداوين. على الرغم من شحّ المصادر التاريخية التي تتناول دور المرأة في الخلافة الفاطمية، إلا أنّ مثال الملكة أروى يبيّن أنه لطالما أقرّ بالسلطة السياسية والدينية للمرأة في تاريخ الإسلام. يذكر الشعب اليمني المحاصر اليوم الملكة أروى باعتزاز بصفتها ابنة بلاده، وحاكمة عظيمة، وخير خليفة لملكة سبأ الأسطورية.

الطاهرة قرة العين (حوالي 1814م-1852م)
بطلة أم زنديقة؟

ولدت فاطمة الملقّبة في زارين تاج حوالي عام 1814م في عائلة من علماء الدين في مدينة قزوين الإيرانية، عاصمة الدولة الصفوية في القرن السادس عشر التي ظلّت معقلاً للإسلام الشيعي حتى القرن التاسع عشر، وتلقّت من والدها الفقه والحديث والقرآن، والقصائد من أمّها المثقّفة أمينة واللغات الأذرية والعربية، ناهيك بالفارسية. في الوقت الذي ولدت فيه الطاهرة، كان جدال بالغ الأهمية قد قسم المؤمنين في غيبة الإمام الثاني عشر (المهدي) عند الشيعة، ولا سيما علماء الدين، بين أصوليين ممن ينادون بجعل السلطة الدينية مركزية وجعل اتّباع أحد المجتهدين واجباً دينياً على جمهرة المؤمنين، وفريق آخر ممن سُموا بالإخباريين الذين رفضوا اختزال الإيمان بهذه الصيغة وأصروا على أن الحقيقة الدينية لا يمكن اكتشافها إلا من خلال الاتصال المباشر بمصدرها، وأنه من خلال الإخلاص، يمكن للمرء أن يدخل في تماس روحيّ مع الإمام الغائب. انحازت فاطمة إلى الفريق الثاني وسط غضب عائلتها ولا سيما عمها الذي كان مجتهداً فقيهاً. وبعد فترة مراهقة صعبة أُكرهت فيها الفتاة على زواج فاشل من ابن عمها، سكن الزوجان كربلاء وبدأت الفتاة الفضولية بمراسلة أحد علماء المدرسة الشيخية (أتباع الشيخ أحمد الإحسائي) هناك باسم «قرة العين»، وطلبت منه النصيحة الروحانية، فما كان منه إلا أن طمأنها باقتراب ظهور المهدي، لتنضمّ بعد طلاقها إلى مجموعة صغيرة تطوي الدهر بالصيام والقيام، باحثين عن «الباب» المؤدي إلى العالم الخفيّ للإمام الثاني عشر. صادفت المجموعة في نهاية المطاف سيداً شاباً في مدينة شيراز. حلّ الإفصاح بقرب الاتصال الفوري مع المهدي التوتر الحاصل بين إيجاد الإمام في قلب المؤمن والبحث عنه في العالم الخارجي، كما أدى إلى الاستغناء عن المجتهدين كونهم متحدثين باسم الربّ غير معصومين عن الخطأ. اندفعت الطاهرة بمواقف أكثر راديكالية، إذ أعلنت في عام 1846م أن الشريعة الدينية لم تعد قابلة للتطبيق، (ويقال إنّها ظهرت حاسرة الرأس متبرّجة بجمالها الأسر أمام الرجال). وبدا هذا الإعلان تكفيراً جرّ عليها غضب رجال الدين في كربلاء وقم، وسلسلة لا تتوقف من المتاعب مع السلطة القاجارية، إذ قام جلاوزة الشاه بجرّها إلى إحدى الحدائق في شهر آب (أغسطس) من عام 1852 وخنقوها حتى الموت ثم رموا بجثّتها في بئر. يحتفي بعض المؤرخين بطاهرة كونها أيقونة للحركة النسائية في إيران. أما الآخرون فقد لطّخوا سمعتها، بل اتهموها بالسرقة الأدبية في قصائدها، واستمرت صور متباينة للطاهرة: بطلة قدّيسة، وزنديقة خطيرة، قي زمن كانت فيه إيران، قلب الإسلام الشيعي تواجه الفكرة المعقّدة للحداثة. وكان السؤال الملحّ في ذلك الوقت هو اتخاذ القرار بشأن من يتحدّث باسم الدين، وأيضاً سؤال آخر بالأهمية ذاتها: ما يمكن للدين أن يخبرنا به؟

زها حديد (1950م-2016م):
انحناءات في الزجاج والإسمنت

اشتكت المهندسة المعمارية العراقية زها حديد (1950-2016) في مقابلة أجرتها مع جريدة «غارديان» (تشرين الثاني/ نوفمبر 2012) قائلة: «لن تصدّق المقاومة الهائلة التي واجهتها لأنني عربية، وعلاوة على ذلك امرأة. إنّه أشبه بسلاح ذي حدّين، ففي اللحظة التي تكون فيها أنوثتي مقبولة، يبدو أن عروبتي تصبح المشكلة». على مدى حياتها الإبداعية التي يحسدها عليها كثيرون والحافلة بالإنجازات، أعادت زها حديد تعريف العمارة في القرن الحادي والعشرين. تركت بصمتها حزفيّاً على خطوط الأفق في أهم المدن حول العالم، من لندن إلى شنغهاي، ومن باكو إلى فيينا، ومن سيول إلى نيويورك، وتمثل ابنة السياسي العراقي المرموق محمد حديد (1907-1999) ابن مدينة الموصل الحيوية الاجتماعية والإنجازات المبهرة للجيل الرائد من المهاجرين في أوروبا وأميركا الشمالية. بعد مصادرة حزب «البعث» القادم إلى السلطة بانقلاب عسكري لثروات العائلة، أرسلها والدها إلى بريطانيا لتلتحق بمدرسة داخلية، ثم حصلت على الإجازة في الهندسة المعمارية عام 1972من الجامعة الأميركية في بيروت، وانتقلت ثانية إلى لندن، فحصلت على فرصة الانضمام إلى الجمعية المعمارية المرموقة هناك، وحصلت على شهادة الدبلوم بامتياز في عام 1977. تدرّبت زها بعد تخرّجها في «مكتب متروبوليتان للعمارة» في روتردام (هولندا)، لحساب اثنين من أساتذتها السابقين، وأنشأت في عام 1980مكتبها الهندسي الخاص. اتّجهت بعد تخرّجها إلى إلقاء المحاضرات في كامبريدج وفيينا وشيكاغو ويال وجامعة كولومبيا في نيويورك، إلى جانب مزاولتها الهندسة. منحها حصولها على الميدالية الذهبية في التصميم المعماري عام 1982 دفعة جيدة وبعد ذلك في عام 1988، عرض «متحف الفنّ الحديث» في نيويورك أعمالها، فبلغت شهرتها عنان السماء، لتفوز من بعدها بكل جائزة ممكنة: من «جائزة بريتزكر» (2004) التي تضاهي نوبل في العمارة، إلى جائزة «ستيرلينغ» الأهم في المملكة المتحدة، وعضوية الشرف من «الأكاديمية الأميركية للفنون والآداب»، ورتبة الشرف في الإمبراطورية البريطانية (2012) وغيرها. وكما هي حال أعمال العديد من العقول المبدعة الرائدة، لا يمكن وضع أعمال زها حديد ضمن تصنيف واحد، ولم يتورّع النقّاد عن استخدام تسميات مبهمة لوصفها مثل التجريدية والتفكيكية والبارامترية في سياق تحليلاتهم. وفي الواقع، تصوّرت حديد طرقاً لتشكيل الزجاج والفولاذ والإسمنت لم يفكّر بها كثيرون، فكانت النتيجة أن صمّمت مباني يبدو أنها تتحدى قوانين الفيزياء، إذ تتسم تصاميم «مركز لندن للألعاب المائية» الذي شُيّد من أجل الألعاب الأولمبية (2012)، وكذلك دار الأوبرا في غوانزا بانسيابية تجعل المشاهد يظنّ أنّها في حال من الحركة المستمرّة: «تكمن الفكرة في عدم وجود أي زوايا بمقياس تسعين درجة. ففي البدء، كان هناك الخطّ القطريّ، ويأتي القطر من فكرة الانفجار الذي يعيد تشكيل المساحة. كان هذا اكتشافاً مهمّاً». لم تبرز زها حديد بكونها مسلمة، لكن ذلك لا يقلّل من أهمية دورها في لفت الانتباه إلى مكانة المرأة المسلمة (والعربية) وتطلّعاتها في القرن الحادي والعشرين.

الأخبار
al-akhbar
الاربعاء 8 آذار 2023 العدد 4867

صورة وخبر

شهدت نيويورك أخيراً العرض العالمي الأوّل لسادس أجزاء سلسلة أفلام «سكريم» (إخراج مات بيتينيلي أولبين وتايلر جيليت)، بحضور أبطاله وعلى رأسهم جينا أورتيغا (الصورة) التي برزت أخيراً في سلسلة «وينزداي» (نتفليكس) لتيم بورتن، بالإضافة إلى كورتني كوكس التي رافقتها ابنتها كوكو أركيت. وفي هذا الشريط الذي يدور في فلك الرعب ويستعدّ للوصول إلى الصالات اللبنانية، يقرّر الناجون من القاتل المتسلسل الشرّير ترك بلدة وودسبورو والذهاب إلى نيويورك بحثاً عن بداية جديدة، ولكنّ خطر الموت يطاردهم مجدّداً.

(ديميتريوس كامبوريس ـ أ ف ب)

على بالي

أسعد أبو خليك

استهلالاً أقول، لا يهمّني من ينتصر في الصراع الأهلي الإسرائيلي. المثل «فخّار يكسِّر بعضه» يسري. أتمنى خسارة الفريقيْن معاً. لكن لا يمكن التقليل من أهميّة ما يجري. هناك بوادر تمرّد في داخل الجيش، كما أنّ الانقسام بين الأطراف يهدّد النظام السياسي الصهيوني الذي تشكّل (بالقوّة) على أرض فلسطين. المؤسّسون العنصريّون للكيان هندسوا علاقات تنظّم الخلاف بين اليهود. كان العنصر الأوروبي العلماني هو المُسيطِر والآمر. هذا يتغيّر بسبب صعود الجناح الديني والتقليدي في المجتمع هناك. وهذا لا يؤثّر فقط على تلاحم الشعب بل على علاقاتهم مع يهود العالم. هناك اليوم أعمق أزمة في تاريخ علاقة إسرائيل بيهود العالم، وخصوصاً يهود أميركا. عندما يكتب عمدة نيويورك السابق الملياردير مايكل بلومبيرغ، في جريدة «نيويورك تايمز» الصهيونيّة، أنّ نتنياهو «يصطحب الكارثة» فهذا علامة قلق عميق في وسط نخبة صهاينة العالم. مجالس المنظّمات اليهوديّة في بريطانيا («مجلس نوّاب يهود بريطانيا») أصدر بياناً أدان فيه دعوة وزير المالية الإسرائيلي إلى إبادة بلدة حوارة. المؤرّخ البريطاني الصهيوني المعروف، سيمون شمّا، دعا اليهود إلى إدانة التحوّل نحو اليمين في إسرائيل، وقال إن هناك خطراً لتحوّل دولة الاحتلال إلى دولة «قومية ثيوقراطيّة». طبعاً، سياسات حكومات الغرب لم تتغيّر وهي لا تزال تحمي عدوان واحتلال إسرائيل، لكن تنامي الغضبة اليهوديّة يمكن لو استمرّ أن يؤثّر على سياسات دول الغرب. إنّ بداية التحوّل كانت في عام 2012 عندما قرّر نتنياهو نبذ السياسة المؤسّسة لإسرائيل في اتباع الحياد نحو التنافس بين الحزبيْن في أميركا. تعاطفَ مع ميت رومني ضدّ أوباما، وكان هذا أوّل خرق في سياسة إسرائيل منذ النكبة. ليس هناك من حلول ترضي الطرفين لأنّ الخلاف عميق ويتعمّق ويتعلّق بأسس الكيان. في لبنان، الخلافات عميقة لكنّها غير مؤثّرة لأنّ لبنان غير مؤثّر ولأنّ مؤسّساته ضعيفة. الانشطار في إسرائيل يؤثّر على تلاحم القوّة العسكريّة، كما أنّ الانشطار في لبنان في عام 1975 قسم الجيش وعطّله بالكامل (أو حوّله إلى رديف للقوّات وجيش لحد). الحرب الأهليّة باتت محتملة عندهم.

المفكرة

حوار مع ناتالي ألفاريز ميسين

■ يواصل موقع «قافلة بين سينمائيات» إتاحة فيلم «كلارا وحيدة» (2021 ـ 106 د) للمشاهدة حتى يوم غدٍ الخميس. وفي اليوم الأخير، يقيم عبر منصة «زوم» حواراً مع مخرجة الشريط ناتالي ألفاريز ميسين (الصورة) تجريه الباحثة آمال شفيق. يتمحور العمل السينمائي حول «كلارا» ذات الأربعين عاماً. يعتقد الناس أن لديها اتصالاً من نوع خاص مع الله. كونها «معالِجة» جعلها تدعم عائلتها وقريتها اللتين تفتقران إلى الأمل. أما هي، فتجد عزاءها في علاقتها بالطبيعة. بعد سنوات من سيطرة والدتها عليها برعايتها القمعية لها، تنجذب كلارا إلى الصاحب الجديد لابنة أختها، فتشتعل رغباتها الحِسّية. تلك النار المستثارة حديثاً تأخذ «كلارا» إلى أرضٍ لم تطأها من قبل. تُغريها بكسر الحدود، المادية منها والروحانية. تتقوَّى كلارا باستكشافها لذاتها، وهكذا تُحرِّر نفسها تدريجياً من دورها كـ«قدّيسة» وتبدأ رحلة علاج جديدة، هذه المرة لذاتها.

جلسة أسئلة وأجوبة مع ناتالي ألفاريز ميسين: غداً الخميس ـ الساعة السابعة مساءً ـ منصة «زوم» (رابط التسجيل متوافر على موقعنا).

المهدوية والظهور

■ في مناسبة ذكرى ولادة الإمام المهدي، يقيم «مركز مشارق للبحوث والدراسات الفكرية المعاصرة» ندوة بعد ظهر اليوم الأربعاء في «بناية فقيه وفضل الله» في حارة حريك، تحت عنوان «المهدوية والظهور: قراءات منهجية معاصرة». خلال النشاط المرتقب، يتحدّث كلّ من الأستاذ في الجامعة اللبنانية محمد شقير، والأستاذ الجامعي والحوزوي السيّد علي فضل الله (الصورة).

ندوة «المهدوية والظهور: قراءات منهجية معاصرة»: اليوم الأربعاء ـ الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ـ «بناية فقيه وفضل الله» (حارة حريك ـ ضاحية بيروت الجنوبية/ الطبقة الخامسة). للاستعلام: 71/526075

تجربة موسيقية في الأشرفية

■ تستعدّ الأشرفية لحفلة موسيقية مساء بعد غدٍ الجمعة على أنغام أشهر مختارات البوب والروك. هكذا، يستضيف «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي» أربعة من أبرز الوجوه التي اعتادت إحياء سهراته، تحت عنوان «التجربة الموسيقية»، وهم: ماريا دودنيك (غناء وبيانو ـ الصورة)، آلان قسطا (غناء وبيانو)، علي همدر (باص وغيتار) ونبيل أبو عاصي (درامز). على أن يعود ريع الأمسية للصفوف الموسيقية للأطفال غير المحظيين، كجزء من برنامج «أونوماتوبيا» لدعم المواهب الموسيقية الشابة.

حفلة The Music Hub Experience ـ الجمعة 10 آذار (مارس) 2023 ـ الساعة الثامنة مساءً ـ «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي» (السيوفي ـ الأشرفية/ بيروت). للاستعلام: 01/398986

فكر وسيرة أنيس النقاش

■ يوم الثلاثاء المقبل، يحتضن «مركز توفيق طبّارة» (الصنائع) ندوة تقيمها «ندوة العمل الوطني» تحت عنوان «إضاءات على فكر وسيرة المناضل الراحل أنيس النقاش (1951 ـ 2021/ الصورة)». يشارك في اللقاء المرتقب كلّ من وزير الثقافة في حكومة تصريف الأعمال القاضي محمد وسام المرتضى، أستاذ علم الاجتماع طلال عتريسي، النائب السابق ناصر قنديل، الكاتب والباحث صقر أبو فخر، رئيس «مركز باحث» البروفيسور يوسف نصرالله والكاتب والإعلامي كمال خلف. على أنّ يتولّى رئيس «ندوة العمل الوطني» المستشار رفعت بدوي مهمّة إدارة النشاط.

ندوة «إضاءات على فكر وسيرة المناضل الراحل أنيس النقاش»: الثلاثاء 14 آذار (مارس) الحالي ـ الساعة الرابعة بعد الظهر ـ «مركز توفيق طبارة» (الصنائع ـ بيروت ـ الطبقة الأولى). للاستعلام: 03/045659

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 828381 / 03
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com